الأسرار البلاغية فى سورة الضحى

للأستاذ الدكتور
عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية اللغة العربية بأسيوط - جامعة الأزهر

سورة الضحى :

هى مكية بالإجماع ، وهى السورة الثالثة والتسعون فى ترتيب المصحف بعد الليل وقبل الشرح ، والعاشرة فى ترتيب نزول المكى ، نزلت بعد الفجر وقبل الشرح[١] ، "وعدت هذه السورة حادية عشر فى ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة الفجر وقبل سورة الإنشراح"[٢]، "وهى الثانية عشرة فى ترتيب السور التى افتتحت بالقسم وعددها خمسة عشر سورة"[٣]. وسميت هذه السورة فى أكثر المصاحف وفى كثير من كتب

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٣/١ دار عالم المعرفة بدون البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ١٩٣/١ ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، والتحبير فى علم التفسير للسيوطى ، تحقيق أ.د/ فتحى عبد القادر فريد ، ص ٤٥ ، دار المنار ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

(٢) التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠ ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م.

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ١٧٩/١.

التفسير وفى جامع الترمذى[١] "سورة الضحى" بدون واو ، وسميت فى كثير من التفاسير وفى صحيح البخارى[٢] "سورة والضحى" بإثبات الواو"[٣].

عدد آياتها :

وعدد آياتها إحدى عشرة آية[٤]، وكلماتها أربعون ، وحروفها مائة واثنان[٥] وهى أول سورة فى قصار المفصل[٦] عند ابن عباس، وسمى مفصلاً لكثرة فصوله بالبسملة[٧] ، وأقصر آية فيه والضحى ثم والفجر كل كلمة خمسة أحرف تقديراً ثم لفظاً ، ستة رسما[٨] نزلت بمكة ، جميعها محكم

---

(١) سنن الترمذى تحقيق الأستاذ إبراهيم عطوة عوض ٤٤١/٥،ط٣ مطبعة مصطفى البابى الحلبى ،= ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .

(٢) صحيح البخارى بحاشية السندى ، ٢١٧/٣ مطبعة مصطفى البابى الحلبى بدون .

(٣) التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ، ٣٩٢/٣٠.

(٤) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠.

(٥) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز ابادى ص ١٩١، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥١م .

(٦) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٩٤/٣٠.

(٧) الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ، ص٢٢٢ ، دار الحديث ، القاهرة، بدون.

(٨) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، ٢٥٢/١.

ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[١] .

سبب نزولها :

ورد فى روايات كثيرة[٢] أن الوحى فتر عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبطأ عليه جبريل ـ عليه السلام ـ فقال المشركون : إن إله محمد ودعه وقلاه . عندئذ نزلت هذه السورة ، نزل هذه الفيض من الود والحب والرحمة والإيناس والقربى والطمأنينة واليقين"[٣].

وجه ارتباطها بما قبلها :

لما ذكر ـ سبحانه ـ فيما قبلها (وسيجنبها الأتقى)[٤] وكان سيد المتقين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عقب سبحانه ذلك بذكر نعمه ـ عز وجل ـ عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

---

[١] الناسخ والمنسوخ للواحدى بهامش أسباب النزول له ص ٣٢٩ مكتبة المتنبى بدون .

[٢] يراجع ذلك فى أسباب النزول للسيوطى ، تحقيق الأستاذ/ قرن أبنو عميرة ، ص ٢٩٩ ، ٣٠٠ مكتبة نصير بدون ، أسباب النزول للواحدى ص ٣٣٧ : ٣٣٩ ، مكتبة المتنبى بدون ، صحيح البخارى بحاشية السندى ٢١٧/٣ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٢٢/٤ وما بعدها ، مكتبة دار التراث ،بدون .

[٣] أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم ، ا.د/ عبد الله محمود شحاته ، ص ١٩٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م .

[٤] الليل : ١٧ .

وقال الإمام لما كانت الأولى سورة أبـــو بكـــر ــ رضـــى الله عنـــه ــ وهذه سورة رسول الله ــ صلـــى الله ــ تعـــالى ــ عليـــه وســـلم عقب ــ جل وعلا ــ بها ولم يجعـــل بينـــهما واســـطة ليعلـــم أن لا واسطة بين رســـوله ــ صلـــى الله عليـــه وســـلم ــ والصديـــق ــ رضى الله تعالى عنـــه[١].

غـرض الســورة :

"هـــذه الســـورة بموضوعـــها وتعبيرهـــا ومشـــاهدها وظلالـــها وإيقاعها لمسة من حنان ونسمة من رحمة وطـــائف مـــن ود ، ويـــد حانية تمســـح علـــى الآلام والمواجـــع وتتســـم بـــالروح والرضـــى والأمل ، وتسكب البرد والطمأنينـــة واليقيـــن إنـــها كلـــها خالصـــة للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كلها نجاء لـــه مـــن ربـــه وتســـرية وتسلية وترويح وتطمين ، كلها أنســـام مـــن الرحمـــة وأنـــداء مـــن الود وألطاف من القربـــى وهدهـــدة للـــروح المتعـــب ، والخـــاطر المقلق ، والقلب الموجـــع"[٢].

ففى السورة "إبطال قـــول المشـــركين إذ زعمـــوا أن مـــا يـــأتى

---

[١] روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للألوسى ، ١٥٣/٣٠ ، ط٤ ، دار إحياء الـــتراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـــ ــ ١٩٨٥م .

[٢] فى ظلال القرآن للشهيد سيد قطب ، ٣٩٢٥/٦ ، ط١٠، دار الشروق ، ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢م.

من الوحى للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد انقطع عنه ، وزاده بشارة بأن الآخرة خير له من الأولى ، وأنه سيعطيه ربه ما فيه رضاه وذلك يغيظ المشركين ، ثم ذكره الله بما حفه به من ألطافه وعنايته فى صباه وفى فتوته وفى وقت اكتهاله ، وأمره بالشكر على تلك النعم بما يناسبها من نقع لعبيده وثناء الله عليه بما هو أهله"[1].

ومن الاستعراض السريع لأهداف السورة ومقاصدها تبدو الألوان المتعددة فى مشاهد السورة ، فكل لفظة فى القرآن الكريم لها فى سياقها دلالة معبرة وها نحن نحيط اللثام ونكشف عما فى السورة من مضمون يعين على توضيح بلاغتها واللطائف التى توحى بها الآيات وفق الدلالات التى هى ولائد السياق وقرائن الأحوال فنقول ، ومن الله ــ تعالى ــ تستمد العون "لقد أطلق التعبير جوا من الحنان اللطيف والرحمة الوديعة والرضاء الشامل والشجا الشفيف ... ذلك الحنان وتلك الرحمة وذاك الرضا وهذا الشجى تنسرب كلها من خلال النظم اللطيف العبارة ، الرقيق اللفظ ، ومن هذه الموسيقى السارية فى التعبير ، الموسيقى الرتيبة الحركات الوئيدة الخطوات الرقيقة

---

[1] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٠/٣٠٤.

الأصداء الشجية الإيقـــاع"[١].

ولكى يضوع عطر هذه العناية الربانية ، وتستنشـــق مـــا يفـــوح به من أسرار نعمد إلى التحليل البيـــانى الكاشـــف كـــى نتنســـم هـــذا العطر الندى ونلمس تلك المناحاة الحبيبة "وهذا الفيـــض مـــن الـــود والحب والرحمة والإيناس والقربى والأمـــل والرضـــى والطمأنينـــة واليقيـــن"[٢].

بســـم الله الرحمـن الرحيـــم
(والضحـى﴿١﴾ والليـل إذا ســجا﴿٢﴾ مـــا ودعـــك ربـــك ومـــا قلـــى ﴿٣﴾ وللآخـــرة خـــير لـــك مـــن الأولى ﴿٤﴾ ولســـوف يعطيـــك ربـــك فـــترضى﴿٥﴾)

فى الآيات بحـــوث :

الأول : سر مناسبة السورة لما قبلها :

ذكرت ــ آنفًا ــ وجه ارتباط السورة بمـــا قبلـــها ، وهنـــا أقـــول فى إيجاز "قدم هنا الضحى على الليل ، وفـــى الســـورة قبلـــها قـــدم الليل؛ لأن لكل منهما أثرًا فى صلاح العالم ، ولليـــل فضيلـــة الســـبق وللنهار فضيلة النور ، فقدم هذا تارةً ، وهذا أخـــرى ، أو أنـــه قـــدم

---

[١] التصوير الفنى فى القرآن للشهيد / ســـيد قطـــب ، ص ١٠٥ بتصـــرف ط١٠ ، دار المعـــارف ، ١٩٨٦م.

[٢] فى ظلال القرآن للشهيد / سيد قطب ، ٣٩٢٥/٦.

الليل فى سورة أبى بكر؛ لأن أبا بكر سبق له كفر ، وقدم الضحى فى سورة محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ؛ لأنه نور محض، ولم يتقدمه ذنب"[١].

الثانى : لقطات لغوية :

(الضحى) والضحو والضحوة والضحية كعشية ارتفاع النهار ، والضحاء بالمد إذا قرب انتصاف النهار ، وبالضم والقصر يطلق على الشمس أيضًا"[٢] "وسجا" سجا الشئ من باب سما : سكن ودام وقوله ــ تعالى ــ : (والليل إذا سجا)[٣] أى: دام وسكن، ومنه البحر الساجى وطرف ساج أى ساكن ، وسجى الميت تسجيةً : أى مد عليه ثوبًا"[٤].

وقيل : سجا أى أدبر ، وقيل : بعكسه ، وقال الفراء : أظلم... وهو من ذوات الواو... كالضحى فإنه من ذوات

---

[١] الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية المعروف بحاشية الجمل على الجلالين ٥٤٩/٤ ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده ، وينظر أسرار ترتيب سور القرآن للسيوطى ، تحقيق د/ عبد القادر أحمد عطا ، ص ١٥١، ١٥٢ ، ط٢ ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م .

[٢] القاموس للفيروز آبادى ، دار الجيل ، بيروت ــ لبنان ، بدون

[٣] الضحى : ٢ .

[٤] مختار الصحاح للرازى ، ص ٢٥٣ ، مكتبة لبنان ــ بيروت ، ١٩٨٩م .

الواو- أيضًا"[١].

ويقال : سجا الليل سَجْوا بفتح فسكون ، وسُجُوًّا بضمتين وتشديد الواو إذا امتد وطال مدة ظلامه مثل : سجو المرء بالغطاء إذا غطى به جميع جسده"[٢]. وقوله ـ تعالى ـ (ما ودعك) التوديع عند الرحيل ، والاسم : الوداع بالفتح ، وقوله ـ تعالى ـ (ما ودعك ربك)[٣] قالوا : ما تركك"[٤].

"(وما قلى) : أ ى ما أبغضك ، قلاه يقليه فى المضارع ، وطئ تقول : قلاه يقلاه بالفتح"[٥].

ويقال : "قلى الحب واللحم ونحوهما قلياً : أنضجه على المقلاه ، وفلاناً قلى : أبغضه وهجره ، وفى القرآن الكريم (ما ودعك ربك وما قلى)[٦]..."[٧].

---

(١) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرون ٥٣٧/٦ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٢) التحرير والتنوير لسماحة الشيخ الطاهر بن عاشور ، ٣٩٥/٣٠.

(٣) الضحى : ٣ .

(٤) مختار الصحاح للرازى ، ص ٦٣٠.

(٥) الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، ٥٣٧/٦.

(٦) الضحى : ٣ .

(٧) المعجم الوجيز ص ٥١٤ ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٣م.

"وقليته قليا ، وقلوته قلوا من بابى ضرب وقتل وهو الإنضاج فى المقلى ، وهى يفعل بالكسر"[١].

الثالث : لطائف بلاغية :

افتتاح السورة بهذا القسم المظهر لتأكيد الخبر ردا على زعم المشركين أن إله محمد ودعه وقلاه وفيه بيان شرف المقسم به وعلو قدره عند الله ــ تعالى ــ فهو من الفواتح البديعة لما فيه من أسلوب عزيز غير مألوف ، وذلك لسلوكه مسلك التعريض بالمشركين ، أما الحبيب المصطفى فلا يتردد فى وقوع ما يخبره الله بوقوعه ، ففى هذا القسم فيض من الحنان يمسح الآلام والمواجع ويسكب الرضا والأمل ، والطمأنينة واليقين . قال سماحة الشيخ الطاهر بن عاشور : "القسم لتأكيد الخبر ردًا على زعم المشركين أن الوحى انقطع عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين رأوه لم يقم الليل بالقرآن بضع ليال ، فالتأكيد منصب على التعريض المعرض به لإبطال دعوى المشركين ، فالتأكيد تعريض بالمشركين ، وأما رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلا يتردد فى وقوع ما

---

[١] حاشية الجمل على الجلالين ، ٤/٥٥٠.

يخبره الله بوقوعه"[١].

ويضيف السيوطى ــ رحمه الله ــ لطيفة أخرى فى هذا القسم ، يقول : "ومن لطائف القسم قوله (والضحى والليل إذا سجى) ...الآيات[٢] أقسم الله ــ تعالى ــ على إنعامه على رسوله وإكرامه له ، وذلك متضمن لتصديقه له ، فهو قسم على صحة نبوته وعلى جزائه فى الآخرة ، فهو قسم على النبوة والمعاد ، وأقسم بآيتين عظيمتين من آياته ، وتأمل مطابقة هذا القسم وهو نور الضحى الذى يوافى بعد ظلام الليل المقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه بعد احتباسه عنه حتى قال أعداؤه : ودع محمدًا ربه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على ضوء الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه واحتجابه"[٣] .

"والقصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده"[٤] وأيضا يراد بالقسم: "بيان شرف المقسم به،وعلو قدره"[٥].

---

[١] التحرير والتنوير لسماحة الشيخ الطاهر بن عاشور ، ٣٠/٣٩٤.

[٢] الضحى : ١ إلى ٥ .

[٣] الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، ٢/١٧١ ، ١٧٢.

[٤] المرجع السابق ، ٢/١٦٩.

[٥] الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم الجوزية ، ص ١١٧ ، مكتبة المتنبى ــ القاهرة ــ بدون ــ مقدمة تفسير ابن النقيب ، ص ٢٣٩ ، ط الخانجى .

"وقوله تعالى : (ما ودعك ربك) هذا جواب القسم"[١] وينبه السمين الحلبى ـ رحمه الله ـ على دقيقة فى قوله ـ تعالى ـ (وللآخرة) وقوله تعالى ـ (ولسوف) وهى أن اللام فيهما جواب القسم ، ولا ينافى هذا كلام الزمخشرى الذى قدر مبتدأ بعد قوله (ولسوف) أى،ولأنت سوف يعطيك".

يقول "قوله (وللآخرة) الظاهر فى هذه اللام : أنها جواب القسم وكذلك فى (ولسوف) أقسم الله ـ تعالى ـ على أربعة أشياء : اثنان منفيان ، وهما توديعه وقلاه ، واثنان مثبتان مؤكدان وهما : كون الآخرة خير له من الدنيا ، وأنه سوف يعطيه ما يرضيه"[٢].

أشرت ـ آنفًا ـ إلى أن القسم بالضحى والليل لتحقيق الخبر وتوكيده أو بيان شرف المقسم به وعلو قدره[٣]، ويأتى هنا سؤال : لم القسم بالضحى والليل؟ يقول الطاهر بن عاشور: "ومناسبة القسم بـ (الضحى والليل) أن الضحى وقت انبثاق نور الشمس ، فهو إيماء إلى تمثيل نزول الوحى،وحصول الاهتداء به ، وأن الليل وقت قيام النبى ـ صلى الله عليه وسلم

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، ٩٢/٢٠، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٩ـ ١٩٤٠م .

[٢] الدر المصور فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ٥٣٨/٦.

[٣] البحث ص ٢٦٤ ، ٢٦٥.

ـ بالقرآن ، وهو الوقت الذى كان يسمع فيه المشركون قراءته من بيوتهم القريبة من بيته ، أو من المسجد الحرام".

فإن قلت : لم أطلق الضحى ، وقيد الليل بالظرف ؟ أجيبك قائلا " (تقييدًا لليل) بالظرف (إذا سجا)؛لأنه ذلك وقت قيام النبى ـ صلى الله عليه وسلم . قال ـ تعالى ـ (قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلا)[1] ..."[2].

وفى تخصيص وقت الضحى بالذكر دون باقى ساعات النهار فيه بشارة للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتكريم له وبيان لفضله ـ صلى الله عليه وسلم . يقول الفخر الرازى:"لم خص وقت الضحى بالذكر ؟ الجواب : فيه وجهان : أحدهما أنه وقت اجتماع الناس وكمال الأنس بعد الاستيحاش فى زمان الليل ، فبشروه أن بعد استيحاشك بسبب احتباس الوحى يظهر ضحى نزول الوحى .

وثانيهما : أنها الساعة التى كلم فيها موسى ربه ، وألقى فيها السحرة سجدًا،فاكتسى الزمان صفة الفضيلة لكونه ظرفًا ، فكيف فاعل الطاعة ، وأفاد ـ أيضًا ـ أن الذى أكرم موسى لا

---

[1] المزمل : ٢،٣.

[2] التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ، ٣٠/٣٩٤، ٣٩٥.

يدع إكرامك ، والذى قلب قلوب السحرة حتى سجدوا يقلب قلوب أعدائك"[١].

وفى (الضحى) مجاز مرسل وهو الأنسب بنظم الكلام ومقتضى المقام خلافًا لما يفهم من قول الشيخ إسماعيل حقى فى روح البيان : (والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار... أو على تقدير المضاف"[٢].

والذى يفهم من كلام صاحب روح البيان : أن فى قوله (أو على تقدير المضاف) أن فى الكلام مجازًا بالحذف ، ومجاز الحذف "قد يطلق على كلمة تغير حكم إعرابها بحذف لفظ أو زيادة لفظ"[٣] وهذا الكلام مبنى على تفسير معنى (الضحى) ويجمل الفخر الرازى أقوال أهل التفسير فى معنى كلمة (الضحى) يقول : لأهل التفسير فى قوله ـ تعالى ـ (والضحى) وجهان :

أحدهما: أن المراد بالضحى : وقت الضحى ، وهو صدر النهار حين

---

[١] مفاتيح الغيب للرازى ، ٤٦٦/٣١ ، ط١ ، دار الغد العربى ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

[٢] روح البيان فى تفسير القرآن للشيخ إسماعيل حقى البروسوى ٤٥٢/١٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون .

[٣] شرح السعد المسمى مختصر المعانى فى علوم البلاغة للتفتازانى ، تحقيق / محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٥٦/٤ ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده . بدون .

ترتفع الشمس وتلقى شعاعها.

وثانيهما : الضحى : هو النهار كله بدليل أنه جعل فى مقابلة الليل كله[١].

فعلى التوجيه الأول يكون فى الكلام مجاز مرسل بعلاقة الحالية "وتعرف بتسمية المكان باسم ما يحل فيه ويقع فى ضمنه"[٢]. يقول الشيخ إسماعيل حقى : (والضحى) هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار ، أريد بالضحى الوقت المذكور على المجاز بعلاقة الحلول والظرفية ، فإن الزمان ظرف لما فيه"[٣].

وعلى الوجه الثانى من تفسير الفخر الرازى لمعنى (الضحى) يكون فى الكلام مجاز مرسل علاقته الجزئية ، وهى "تسمية الشئ باسم جزئه"[٤].

يقول الجمل فى حاشيته على الجلالين : "قال "أو كله" ... يكون فى الكلام مجاز من إطلاق اسم الجزء وإرادة الكل ،

---

[١] مفاتيح الغيب للرازى ، ٣١/٤٦٤.

[٢] مواهب الفتاح لابن يعقوب المغربى ضمن الشروح ، ٤/٤١، دار السرور ، بيروت ، لبنان.

[٣] روح البيان فى تفسير القرآن ، ١٠/٤٥٢.

[٤] الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ، تحقيق ا.د/ محمد عبد المنعم خفاجى ، ٥/٢٥ ، ط٢ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٤م .

وقرينته مقابلته بـــالليل"[١].

والنظم الشـــريف محتمـــل لكـــل ذلـــك ، فالنكـــات البلاغيـــة لا تتزاحم (والليل إذا سجى) وفى إســـناد الســـجو إلـــى الليـــل مجـــاز عقلى علاقته الزمانية . فمعنـــى (ســـجى) ســـكن أهلـــه[٢] ، فـــهو مجاز عقلـــى حيـــث أســـند الســـكون لليـــل"[٣] . وينـــص الشـــيخ إسماعيل على حقي على نوع العلاقة وأنـــها الزمانيـــة يقـــول : (إذا سجا) : أى اسكن أهله على المجاز مـــن قبيـــل إســـناد الفعـــل إلـــى زمانه[٤] والنظم الشريف يحتمل حمـــل الكـــلام علـــى الحقيقـــة : فيحمـــل الكلام على تقدير مضـــاف ... ونحـــوه مـــا روى عـــن قتـــادة : أى سكن الناس والأصوات فيه"[٥]. وشاع ليـــل ســـاكن أو ســـاج لمـــا لا ريح فيه ، ووصفه بذلك : أعنى الســـكون ، قيـــل : علـــى الحقيقـــة كما إذا قيل ليل لا ريح فيه ... أو لتضمنه عـــدم الريـــح لا الـــهواء. قيل : ليل ساج وساكن وصف الليـــل علـــى الحقيقـــة : أى لا إســـناد

---

[١] حاشية الجمل ، ٤/٥٥٠.

[٢] إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود ١٦٩/٩ ، دار إحياء الـــتراث العـــربى ، بيروت ، بدون .

[٣] حاشية الجمل ، ٤/٥٥٠.

[٤] تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البروسوى ، ٤٥٣/١٠.

[٥] روح المعانى للألوسى ، ١٥٣/٣٠.

فيه إلى غير ملائم ، على أنه يحتمل أن يجعل السكون بهذا المعنى حقيقة عرفية"[١].

ويمكن توجيه النظم الشريف على الاستعارة التبعية أو المكنية إذا قلتا إن معنى سجا : ركد ظلامه ـ أى ـ اشتد ظلامه ... وأصل الركود عدم الجريان فى الماء ، فتجوز به عما ذكر ، وعلى هذا ففى (سجا) استعارة تبعية أو مكنية"[٢] . ولا يخفى حسن وجمال ذلك المجاز ـ العقلى ـ أو الاستعارة التبعية أو المكنية ، وهذا "أحسن من تقدير المضاف فيه مع جوازه"[٣].

وبعد هذا الكلام الأنيق وإيراز هذه المعانى الحسنة ، لا يخفى على القارئ الفطن تشبيه الليل بالبحر وحذف المشبه به والرمز إليه بشئ من لوازمه وهو السجو بمعنى ركود أمواجه وهذا فى الاستعارة المكنية ، أما التبعية ، فقد استعرنا السجو للركود واشتققنا منه سجا بمعنى ركد.

"قوله تعالى : (والضحى والليل إذا سجا)[٤] الضحى ـ

---

[١] المرجع السابق ، ١٥٤/٣٠.

[٢] حاشية الشهاب على البيضاوى ٣٧٠/٨ ، دار صادر بيروت ، بدون .

[٣] المرجع السابق ، ٣٧٠/٨

[٤] الضحى : ١ ، ٢.

سجى من ذوات الـــواو وكتبـت فـــى المصحـــف باليـــاء لمراعـــاة رؤوس الآى ، وللمناسبة فى مقاطع الفواصل لما له مـــن أثـــر فـــى اعتدال نسق الكلام وحسن موقعـــه مـــن النفـــس "قولـــه : ســـجا ... وهـــو مـــن ذوات الـــواو ، وإنمـــا أميـــل لموافقـــــة رؤوس الآى كالضحى فإنه مـــن ذوات الـــواو أيضـــًا"[١]. وقـــال الزركشـــى ـ رحمه الله ـ:"واعلم أن إيقاع المناســـبة فـــى مقـــاطع الفواصـــل ... مؤثر فى اعتدال نسق الكلام وحســـن موقعـــه من النفـــس تـــأثيراً عظيماً ولذلك خرج عن نظـــم الكـــلام لأجلـــها فـــى مواضـــع : ... الحادى عشر : إمالة ما أصله أن لا يمال كإمالـــة الـــف (والضحـــى والليل إذا سجى)[٢] ليشاكل التلفـــظ بـــهما التلفـــظ بمـــا بعدهمـــا ، والإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء ، والغرض الأصلـــى منـــها هـــو التناســـب"[٣].

(ما ودعك ربك وما قلـــى ﴿٣﴾)

سبقت الإشارة إلـــى أن الآيـــة جـــواب القســـم[٤] ، وفيـــها رد على المشـــركين . وبشـــارة للنبـــى ـ صلـــى الله عليـــه وســـلم ـ

---

[١] الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى : ٥٣٧/٦.

[٢] الضحى : ١ ، ٢.

[٣] البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٦٠/١ ، ٦٧.

[٤] البحث ص ٧ .

وبيان لسبب احتباس الوحى عنه وأنه للتربيـــة والإرشـــاد : أى "مـــا قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجـــة الوحـــى والقـــرب والكرامـــة ... وأيضـــاً ـــ نزلـــت الآيـــة "رداً علـــى المشـــركين وتبشيراً له ـــ عليه السلام ـــ بأن الحبيـــب لا يقلـــى الحبيـــب وأنـــه ـــ تعالى ـــ يواصله بـــالوحى والكرامـــة فـــى الدنيـــا مـــع أن مـــا سيؤتيه فى الآخرة أجل وأعظم مـــن ذلـــك كمـــا تنبـــئ عنـــه الآيـــة الآتية[1] ...وفيه إشارة إلى أنه ـــ عليـــه الســـلام ـــ وقـــع منـــه مـــا هو ترك الأولى، ولذا لم يكن ممقوتـــاً ولا مبغوضـــاً وإنمـــا احتبـــس عنه الوحى للتربية والإرشـــاد"[2].

وفى (ودع) استعارة تصريحيـــة تبعيـــة ، وهـــى مناســـبة لنظـــم الكلام ومقتضى الحال؛ لأن فيها "مبالغة فى الـــوداع وهـــو الـــترك ، لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ فى تركك"[3] قـــال الراغـــب :"أصـــل التوديع من الدعة ... وعبر به عن الـــترك فـــى الآيـــة ، والمعنـــى ما قطعك قطع المودع ومـــا تركـــك بـــالحط عـــن درجـــة الوحـــى

---

[1] هى قوله ـــ تعالى ـــ (وللآخرة خير لك من الأولى).

[2] روح البيان فى تفسير القرآن للشيخ اسماعيل حقى ١٠/٤٥٤.

[3] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التـــأويل للزمخشـــرى ، ٤/٢٦٣ ، مكتبـــة ومطبعة البابى الحلبى ، ١٣٩٢هـــ ـــ ١٩٧٢م.

والقرب والكرامة ففيه استعارة تبعية"[١].

ويكشف الطاهر بن عاشور عن قرينة الاستعارة ، ويبرز حسنها وجمالها . يقول "والتوديع تحية من يريد السفر ، فاستعير في الآية للمفارقة بعد الاتصال تشبيهاً بفراق المسافر في انقطاع الصلة ، حيث شبه انقطاع صلة الكلام بانقطاع صلة الإقامة ، والقرينة إسناد ذلك إلى الله الذي لا يتصل بالناس إتصالاً معهوداً ، وهذا نفي لأن يكون الله قطع عنه الوحي"[٢].

وفي بيان القيمة الفنية والجمالية لهذه الإستعارة البديعة يقول الشهاب ــ رحمه الله ــ "قوله (ما قطعك قطع المودع) يعني : أن التوديع مستعار استعارة تبعية للترك ، وفيه من اللطف والتعظيم ما لا يخفى ، فإن الوداع إنما يكون بين الأحباب ومن تعز مفارقته . كما قال المتنبي :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا ... فلم أدر أيّ الظاعنين أشيع[٣]

وإيثار لفظ الرب مضافاً إلى ضمير النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ يوحي بالتبشير بالكرامة الحاصلة والمترقبة فضلاً عن

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب ، تحقيق/ محمد سيد كيلاني ، ص ٥٤٤، طبعة أخيرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨١هـ ــ ١٩٦١م.

(٢) التحرير والتنوير ، ٣٠/٣٩٥.

(٣) حاشية الشهاب ، ٨/٣٧٠.

ما يفيده اسم الرب من التربية وبلوغ الكمال . يقول العلامة أبو السعود حين قال المشركون : إن محمداً ودعه ربه وقلاه "نزلت رداً عليهم وتبشيراً له ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالكرامة الحاصلة والمترقبة كما يشعر به اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ إلى الكمال"[1].

والعطف في قوله ـ تعالى ـ "وما قلى" من عطف السبب على المسبب للتعليل[2] ، وفي الآية إيجاز بالحذف حيث حذف مفعول (قلى) لطفاً وشفقة به ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولنفي صدور الفعل عن الله ـ عز وجل ـ أو لدلالة ما قبله عليه مع ما فيه من المحافظة على رؤوس الآى . يقول الألوسي ـ رحمه الله ـ: "(وما قلى) أى وما أبغضك ، وحذف المفعول لئلا يواجه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنسبة القلى وإن كان في كلام منفي لطفاً به ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشفقة عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أو لنفي صدوره عنه ـ عز وجل ـ بالنسبة إليه ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ ولأحد من أصحابه ومن أحبه ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ إلى يوم القيامة ، أو للاستغناء عنه بذكره من قبل مع أن فيه مراعاة

---

[1] الإرشاد لأبي السعود ١٦٩/٩.

[2] ينظر روح البيان ، ٤٥٤/١٠.

للفواصل"[١] .

(وللآخرة خير لك من الأولى ﴿٤﴾)

في الآية بحوث :

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

ترتبط الآية بما قبلها ارتباطاً وثيقاً . يقول جار الله الزمخشري ـ رحمه الله ـ : "فإن قلت : كيف اتصل قوله : "وللآخرة خير لك من الأولى" بما قبله ؟ قلت : لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه ، أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل ، وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الأمم ورفع درجات المؤمنين وإعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية"[٢] .

الثاني : لقطات لغوية :

"الآخرة : مقابل الأولى ، ودار الحياة بعد الموت"[٣]، والآخرة : مؤنث الآخر ، والأولى : مؤنث الأول ، وغلب لفظ الآخرة في

---

[١] روح المعاني ، ١٥٦/٣٠.

[٢] الكشاف ٢٦٤/٤.

[٣] المعجم الوجيز ، ص٨ .

اصطلاح القرآن على الحياة الآخـــرة ، وعلـــى الـــدار الآخـــرة ، كمـــا غلب لفظ الأولى على حياة الناس التى قبل إنخـــرام هـــذا العـــالم "[١]

الثالث : لطائف بلاغيـة :

اللام فى قولـــه ــ تعـــالى ــ وللآخـــرة لام الابتـــداء جـــئ بـــها لتوكيد مضمون الجملة[٢] ولام التعريف فـــى قولـــه ــ تعـــالى ــ : "وللآخرة ــ الأولى" تحتمل توجيهات عدة منـــها : أن الـــلام فيـــهما لام الجنس "أى كل آجل أمره هو خير من عاجلـــه فـــى هـــذه الدنيـــا وفى الأخـــرى "[٣].

ويمكن أن تكون اللام فيهما للعهد "قال ابـــن عطيـــة وجماعـــة : يحتمل أن يراد بـــهما نهايـــة أمـــره ــ صلـــى الله عليـــه وســـلم ــ وبدايتـــه"[٤].

ويمكن أن تكون اللام عوضاً عـــن المضـــاف إليـــه "أى لنهايـــة أمرك خير من بدايته"[٥] وفى التـــأويلات النحميـــة "يعنـــى أحـــوال نهايتك أفضل من أفعال بدايتك كما أخبر بقوله (اليـــوم أكملـــت لكـــم

---

(١) التحرير والتنوير ٣٠/٣٩٧.

(٢) البحر المحيط لأبى حيان ، ٨/٤٨٦.، ط٢ ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـــ ــ ١٩٨٣م .

(٣) التحرير والتنوير ، ٣٠/٣٩٧.

(٤) روح المعانى للآلوسى ، ٣٠/١٥٨.

(٥) روح المعانى للآلوسى ، ٣٠/١٥٨.

دينكم...)[١] ، لأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا يزال يطير بجناحي الشريعة والطريقة في جو سماء السير ويترقى في مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته"[٢].

هذا تفسير صوفي رائق للآية ، فيه شفافية الروح وسمو الهمة وفناء الذات ، واحتمال ذلك كله وارد ، لأن النظم الشريف لا يأباه ، فضلاً عن أنه لا تعارض في ذلك وإن كان الاحتمال الأول أظهر وأولى فتحمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة "وفي بعض الأخبار المرفوعة ما هو أظهر في الأول أخرج الطبراني في الأوسط والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس ـ رضي الله ـ تعالى عنهما ـ قال : قال ـ رسول الله ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي فسرني ، فأنزل الله ـ تعالى ـ (وللآخرة خير لك من الأولى)[٣]..."[٤] والأحاديث المروية في ذلك كثيرة.

وتنكير (خير) للتعظيم والتفخيم ، أي خير عظيم لا يعلم كنهه إلا الله ـ عز وجل ـ ولما كان سياق النظم الشريف

---

[١] المائدة : ٣.

[٢] روح البيان : ١٠/٤٥٤ ، ٤٥٥.

[٣] الضحى : ٤.

[٤] روح المعاني ، ٣٠/١٥٨.

وارداً فى مقام تكريم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشريفه وتعظيمه كان فى قوله ـ تعالى ـ : (لك) قصر يقول الشهاب ـ رحمه الله ـ: "(وقوله لك) على هذا لبيان اختصاصه بالخيرية فيهما دون من آذاه وشمت بتأخر الوحى عنه"[1] ويضيف الآلوسى ـ رحمه الله ـ دقيقة لطيفة توضح القصد الذى أشار إليه الشهاب وهى أن القصر إضافى يقول: "والاختصاص الذى تقتضيه اللام . قيل : إضافى على معنى اختصاصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بخيرية الآخرة دون من آذاه وشمت بتأخير الوحى عنه ـ صلى الله ـ تعالى عليه وسلم"[2] هذا فى وجه ، وفى وجه آخر أن اللام هنا للعموم وليس الاختصاص قصرياً ، وهذا ما رجحه كثير من المفسرين ، وإن كان النظم الشريف يحتملهما ولا مانع من الجمع بينهما؛لأن السياق والمقام لا يأباه. يقول العلامة الألوسى ـ رحمه الله ـ "ولا مانع من عمومه لجميع الفائزين كيف، وقد علم بالضرورة أن الخير المعد له ـ عليه الصلاة والسلام ـ خير من المعد لغيره على الإطلاق ، ويكفى فى ذلك اختصاص المقام المحمود به ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ على أن اختصاص اللام

---

[1] حاشية الشهاب ، ٣٧١/٨.

[2] روح المعانى ، ١٥٨/٣٠.

ليس قصرياً"[١].

وفى الآية الكريمة كناية رمزية لطيفة أشار إلى ذلك الشهاب فى تعليقه على قول البيضاوى ـ رحمهما الله ـ فى تفسير ـ قوله ـ تعالى ـ (وللآخرة خير لك من الأولى)[٢] فإنها باقية خالصة عن الشوائب ، وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنملما بين أنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعد له ما هو أعلى وأجل من ذلك فى الآخرة"[٣] قال الشهاب ـ رحمه الله ـ : "وقوله : لا يزال يواصله إلخ هذا من نفى التوديع والقلاة ، فإن ذلك صريح فى عدم المفارقة وثبوت المواصلة،مواصلة الله لأحبابه وخاصة أنبيائه بما ذكره ، فلا خفاء فيه سواء جعل كناية عما ذكر أولاً وهذا بيان لاتصال الآية بما قبلها"[٤].

ولا يخفى لطف ما فى النظم الشريف من كناية رمزية عن إدراك العناية الإلهية للنبى ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم

---

[١] المرجع السابق ، ١٥٨/٣٠.

[٢] الضحى : ٤.

[٣] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضى البيضاوى ٥٦٤/٢ ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م .

[٤] حاشية الشهاب ، ٣٧١/٨.

ـ من نفي التوديع والقلا ومواصلة الوحي للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشريفه وتعظيمه على أن هذا التشريف وإن كان عظيماً فإن ما أعده الله له في الآخرة خير وأجل وأعظم . وقد ذكر العلامة السكاكي ـ رحمه الله ـ الرمز قسماً من أقسام الكناية . قال : "ثم إن الكناية تتفاوت إلى تعريض وتلويح ورمز وإيماء وإشارة ومسار الحديث يحسر لك اللثام عن ذلك"[١].

"والرمز ما يشار به إلى المطلوب مع قلة الوسائط وخفاء في الملزوم كعريض القفا ، وعريض الوسادة ، وسمي رمزاً ، لأنه الإشارة من قرب على سبيل الخفية"[٢] وهذه الجملة الخبرية تفيد العموم : أي عموم الأزمنة ، كما تدل على تكريم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتشريفه وتعظيمه بما أعد له "من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارات وتقصر دونها الإشارات"[٣] .

وبعد هذا الكلام الأنيق وإبراز هذه المعاني الحسنة الرائقة

---

[١] مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ١٩٠ ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .

[٢] شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان للسيوطي ، ص ١٠٣ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٣٥٨ـ ١٩٣٩م وراجع المفتاح ، ص١٩٤.

[٣] روح المعاني : ١٥٨/٣٠.

البديعة لأئمة التفسير نختم كلامنا فى الآيـة بفـائدة لطيفـة ، فنقـول: أوثـر خطابـه ـ صلـى الله عليـه وسـلم ـ بـالإفراد بقولـه ـ تعالى ـ : (خير لك) دون الجمع ، فلم يقـل : خـير لكـم تكريمـاً وتشريفاً للنبى ـ صلى الله عليـه وسـلم ـ ولدفـع شـبهة الكـذب عن القرآن الكريم ، يقول الفخـر الـرازى ـ رحمـه الله ـ : "لـم قال : (وللآخرة خير لك) ، ولم يقل : خـير لكـم ؟

الجواب : لأنه كان فى جماعته من كـانت الآخـرة شـراً لـه ، فلو أنه ـ سبحانه ـ عمم لكان كذبـاً ، ولـو خصـص المطيعيـن بالذكر لافتضح المذنبون والمنـافقون ، ولـهذا السـبب قـال الله ـ سبحانه وتعالى ـ على لسان موسـى ـ عليـه السـلام ـ : (كـلا إن معى ربى سيهدين)[1] ، وأما محمـد ـ صلـى الله عليـه وسـلم ـ فالذى كان معه لما كان من أهل السعادة قطعـاً ، لا جـرم قـال: (إن الله معنا)[2] إذ لم يكن ثمّ إلا نبـى وصديـق"[3].

(ولسوف يعطيك ربك فـترضى﴿٥﴾)

فى الآية بحـوث :

---

[1] الشعراء : ٦٢.

[2] التوبة : ٤٠.

[3] مفاتيح الغيب ، ٣١/٤٧١.

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

هذه الآية وثيقة الصلة بما قبلها من وجهين يوضح ذلك الفخر الرازى يقول : "واعلم أن اتصاله بما تقدم من وجهين : الأول : هو أنه ــ تعالى ــ لما بين أن الآخرة (خير له من الأولى) ولكنه لم يبين أن ذلك التفاوت إلى أى حد يكون ، فبين بهذه الآية مقدار ذلك التفاوت ، وهو أنه ينتهى إلى غاية ما يتمناه الرسول ويرتضيه.

الوجه الثانى : كأنه ــ تعالى ــ لما قال : (وللآخرة خير لك من الأولى)[1] ، فقيل : ولم قلت : إن الأمر كذلك ؟ فقال : لأنه يعطيه كل ما يريده ، وذلك مما لا تتسع الدنيا له ، فثبت أن الآخرة خير له من الأولى"[2].

وهذه الآية الكريمة "عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله ــ تعالى ــ فى الدنيا من كمال النفس،وعلوم الأولين والآخرين ، وظهور الأمر وإعلاء الدين ... وفشو الدعوة والإسلام فى مشارق الأرض ومغاربها، ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها إلا الله ــ تعالى"[3]. ومفاد هذا التحليل : أن الوعد محمول على عطاء الله له فى الدنيا ، أما لو حمل هذا الوعد على العطاء فى الآخرة "فقد يمكن حمله على المنافع وقد يمكن حمله على التعظيم .

---

[1] الضحى : ٤ .

[2] مفاتيح الغيب ٣١/٤٧٢.

[3] الإرشاد لأبى السعود ٩/١٧٠.

أما المنافع ، فقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : ألف قصر فى الجنة من لؤلؤ أبيض ترابه المسك ، وفيها ما يليق بها.

وأما التعظيم ، فالمروى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وابن عباس : أن هذا هو الشفاعة فى الأمة... والأولى حمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة"[١].

الثانى : لقطات لغوية :

الواو : حرف يكون عاملاً وغير عامل ... وأما غير العاملة فلها معان : الأول : وهو أصلها ـ العاطفة تشرك فى الحكم الإعرابى ، وهى لمطلق الجمع على الصحيح ، ولا تدل على أن الثانى بعد الأول بل قد يكون كذلك ، وقد يكون قبله ، وقد يكون معه"[٢].

والواو فى الآية بهذا المعنى .

اللام ـ سوف : نص البلاغيون على أدوا تفيد التوكيد مثل : "--- لام الابتداء ... وسوف"[٣].

اللام قسمان : عاملة وغير عاملة ، وغير العاملة تجئ لعشرة

---

[١] مفاتيح الغيب ، ٣١/٤٧٢ ، ٤٧٣.

[٢] البرهان للزركشى ، ٤/٤٣٥، ٤٣٦.

[٣] الإسناد أحواله ومقاماته ـ دراسة تحليلية للباحث ص ٤٣ ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

معان : ... ومؤكدة ... وهى الزائدة أول الكلام وتقع فى موضعين: أحدهما : المبتدأ ، وتسمى لام الإبتداء"[١].

"ولام الإبتداء الداخلة على المبتدأ أو الخبر تفيد توكيد مضمون الجملة ، فمن الأول قوله ـ تعالى : (وللآخرة خير لك من الأولى)[٢] ، ومن الثانى قوله ـ تعالى ـ : ... وقوله ـ تعالى ـ : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٣] هذه اللام داخلة على الخبر ، والمبتدأ محذوف تقديره : لأنت"[٤].

سوف : حرف يدل على التأخير والتنفيس ، وزمانه أبعد من زمان السين لما فيها من إرادة التسويف ... وسوف تستعمل كثيراً فى الوعيد والتهديد ، وقد تستعمل فى الوعد ... وأمثالها فى الوعد : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٥]..."[٦].

الفاء :

"الفاء ترد عاطفه ، وللسببية ، وجزاء ، وزائدة . الأول : العاطفة ،

---

[١] البرهان للزركشى ، ٣٣٤/٤ ، ٣٣٥.

[٢] الضحى : ٤ .

[٣] الضحى : ٥.

[٤] الإسناد أحواله ومقاماته للباحث : ٤٥ ، ٤٦.

[٥] الضحى : ٥ .

[٦] البرهان : ٢٨٢/٤ ، ٢٨٣.

ومعناها : التعقيب"[١] . وهذا معنى الفاء فى قوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٢].

الثالث : لطائف بلاغية :

اللام فى قوله ـ تعالى ـ : (ولسوف) من أدوات التوكيد ، والغرض من التوكيد بها الإهتمام بالخبر : أى تأكيد الحكم الذى تضمنه الخبر وهو ثبوت الإعطاء لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والرضا لا شبهة فى ذلك ، وإنما كان الغرض من اللام توكيد مضمون الخبر أن المخاطب بذلك ، وهو النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليس شاكاً أو متردداً فى ذلك ، كما أنه ليس منكراً ولا منزلاً منزلة المنكر حتى يؤكد له الكلام ، وإنما الغرض من التوكيد ـ كما قلنا ـ محض التقرير والإهتمام بالخبر .

قال صاحب روح البيان : "اللام لام الابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة ، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك ربك"[٣].

وجار الله الزمخشرى ـ رحمه الله ـ جزم بأن اللام فى قوله ـ تعالى ـ (وللآخرة ـ ولسوف يعطيك) هى لام الابتداء المؤكدة

---

[١] المرجع السابق : ٤/٢٩٤.

[٢] الضحى : ٥ .

[٣] روح البيان ١٠/٤٥٥.

لمضمون الجملة . قال : (فإن قلت : ما هذه اللام الداخلة على سوف ؟ قلت : هى لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة ، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك ... وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء ، فلام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد ، فبقى أن تكون لام الابتداء ، ولام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر ، فلابد من تقدير مبتدأ وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك"[1].

وما جزم به صاحب الكشاف محل نظر؛ إذ يحتمل أن تكون اللام للقسم وقد ناقشه فى ذلك السمين الحلبى ، وحكى بعض ما ذكرته عن صاحب الكشاف . قال السمين الحلبى : "قوله : (وللآخرة) الظاهر فى هذه اللام : أنها جواب القسم ، وكذلك فى (ولسوف) أقسم الله ــ تعالى ــ على أربعة أشياء : اثنان منفيان ، وهما توديعه وقلاه واثنان مثبتان مؤكدان ، وهما : كون الآخرة خير له من الدنيا، وأنه سوف يعطيه ما يرضيه"[2] وقد استحسن الألوسى ذلك وقد تقدم تحرير معنى هذه اللام ، وإنما أعدته هنا لما فيه من كبير فائدة، ثم يؤيد الشيخ كلامه بما أورده أبو حيان فى البحر المحيط ، يقول : "وقال الشيخ : واللام فى (وللآخرة) لام الابتداء وكدت مضمون الجملة ... ثم قال : ويجوز عندى : أن تكون اللام فى

---

[1] الكشاف ٤/٢٦٤.

[2] الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون .

(وللآخرة خير) وفى (ولسوف يعطيك) اللام التى يتلقى بها القسم ، عطفهما على جواب القسم ، وهو قوله : (ما ودعك) فيكون قد أقسم على هذه الثلاثة انتهى"[١] ، ويستنبط السمين الحلبى ـ رحمه الله ـ من تحليل الزمخشرى ما يؤيد به وجهته. يقول : "وتقدير الزمخشرى مبتدأ بعدها لا ينافى كونها جواباً للقسم"[٢].

وهذا من غرر الكلام ودرره إذ ليس هناك ما يمنع أن تكون اللام للابتداء أو للقسم فكلاهما لتوكيد الكلام وتحقيق مضمون الخبر. و(سوف) فى الآية الكريمة "لإفادة أن هذا العطاء الموعود به مستمر لا ينقطع كما تقدم فى قوله ـ تعالى ـ : (قال سوف استغفر لكم ربى) فى سورة يوسف[٣] ، وقوله : (ولسوف يرضى) فى سورة الليل[٤] ..."[٥].

وقوله ـ تعالى ـ : (ولسوف) اجتمعت اللام وسوف ، وفى اجتماعهما دقائق ولطائف ، ولهما من الحسن والمزية ما ليس لواحدة منهما على حدها ، وللإفصاح عما فى اجتماعهما من الحسن والمزية نقول : قال جار الله الزمخشرى : "فإن قلت : ما معنى

---

[١] المرجع السابق ، ٥٣٨/٦.

[٢] الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، ٥٣٨/٦.

[٣] آية : ٩٨.

[٤] آية : ٢١.

[٥] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ، ٣٩٨/٣٠.

الجمع بين حرفى التوكيد والتأخير ؟ قلت : معنـــاه أن العطـــاء كـــائن لا محالة وإن تأخر لما فى التـــأخير مـــن المصلحـــة"[١]. فلـــم لـــم يســـتغن باللام عن ســـوف؟

يحسر اللثام عـــن ذلـــك الشـــيخ إســـماعيل حقـــى ـــ رحمـــه الله ـــ مجيباً عـــن هذا التســـاؤل بعـــد أن حكـــى كـــلام الزمخشـــرى بقولـــه : "يعنى أن لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التـــأكيد ، وكـــانت الســـين تدل على التأخير والتنفيس حصل مـــن اجتماعـــهما أن العطـــاء المتـــأخر لحكمـــة كـــائن لا محالـــة ، وكـــانت الـــلام لتـــأكيد الحكـــم المقـــترن بالاســـتقبال"[٢].

"ومختصر كل الأمر أن التأكيد إنمـــا يصـــار إليـــه إذا كـــان الحكـــم المؤكد مما يهتم بشأنه وأنه مما يحافظ عليـــه ويعتنـــى بـــأمره"[٣].

وفى الآية الكريمة إيجاز بالحذف حيث حذف المفعـــول الثـــانى لـــ (يعطيك) وهو من حـــذف متعلقـــات الفعـــل لإرادة العمـــوم : أى (ليعـــم كل ما يرجوه ـــ صلى الله عليه وســـلم ـــ مـــن خـــير لنفســـه ولأمتـــه ، فكان مفاد هذه الجملـــة تعميـــم العطـــاء ، كمـــا أفـــادت الجملـــة قبلـــها

---

[١] الكشاف ٤/٢٦٤.

[٢] روح البيان ١٠/٤٥٥.

[٣] مباحث علم المعانى فى ضوء تفسير روح البيان للشيخ/ إسماعيل حقى ، عرض وتحليل ، رســـالة دكتوراه للباحث ، ص ١٤٥ ، مخطوط كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ١٤٠٩هـــ ـــ ١٩٨٩م .

تعميم الأزمنـــة"[١].

ومن لطيف حذف المفعول حذف مفعـــول (فـترضى) لأن الفـرض الفعل لا المفعول لتتوفر العناية بالفعل وتقدير المفعـــول (فـترضى) مـا تعطاه مما يطمئن به قلبـــك"[٢].

"وحذف المفعول تكثر لطائفـــه ، وتـدق أسـراره ، وكـأن المزايـا فيه أغلب وما يظهر بسببه من الحســـن والرونـق أعجـب كمـا يقـول عبد القـاهر"[٣].

ويقول : "ليس لنتائج ... حـــذف المفعـول نهايـة ، فإنـه طريـق إلى ضروب من الصنعة وإلى لطـــائف لا تحصـى"[٤].

ومن لطائف النظم الشريف يذكـــر الفخـر الـرازى دقيقـة لطيفـة تكشف عن الحسن والمزية فى إيثار سوف علـــى السـين يقـول : "مـا الفائدة فى قوله ــ تعالى : (ولسوف) ولمَ لمْ يقـــل : وسـيعطيك ربـك؟

الجواب فيها فائدتـــان :

---

[١] التحرير والتنوير ٣٠/٣٩٨.

[٢] روح البيان ١٠/٤٥٥.

[٣] خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى ، ا.د/ محمد أبـو موسـى ، ص ٢٧٢ ، ط٢ ، مكتبة وهبه ، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م ، وينظر دلائل الإعجاز ، ١٥٣.

[٤] دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق محمود محمـد شـاكر ، ص ١٦٣، ط٢ ، مطبعة المدنى ، ١٤١٠هـ ــ ١٩٨٩م.

إحداهما : أنه يدل على أنه ما قرب أجله ، بل يعيش بعد ذلك زماناً وثانيهما : أن المشركين لما قالوا : ودعه ربه وقلاه ، فالله ـ تعالى ـ رد عليهم بعين تلك اللفظة ، فقال : (ما ودعك ربك وما قلى)[١]، ثم قال المشركون : سوف يموت محمد ، فرد عليهم ذلك بهذه اللفظة فقال : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[٢] ..."[٣].

وتأمل ما فى النظم الشريف من عذوبة اللفظ وحسن موقعه ومزايا الجمال والخلابة التى تستتر فى مطاوى العبارة ، ولا يخفى حسن ما فى النظم الشريف من التعبير بلفظ (يعطيك) بالإفراد دون يعطيكم بخطاب الجمع يكشف الفخر الرازى عن آيات الحسن والجمال فى هذا النظم الشريف ويعلل له يقول : " لِمَ لَمْ يقل : يعطيكم مع أن هذه السعادات حصلت للمؤمنين أيضاً ؟".

والجواب لوجوه :

أحدهما : أنه المقصود وهم أتباع .

وثانيها : أنى إذا أكرمت أصحابك فذاك فى الحقيقة إكرام لك ، لأنى أعلم أنك بلغت فى الشفقة عليهم إلى حيث تفرح بإكرامهم فوق ما تفرح بإكرام نفسك .

---

[١] الضحى : ٣.

[٢] الضحى : ٥.

[٣] مفاتيح الغيب : ٣١/٤٧٤.

وثالثها : أنك عاملتنى معاملة حسنة ، فإنهم حين شـــجوا وجـهك قلـت: "اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون" وحيـــن شـغلوك عـن الصـلاة يـوم الخندق ، قلت : "اللهم املأ بطونـــهم نـاراً"[١] .

ولما كان سياق النظم الشـــريف وارداً فـى مقـام تكريـم النبـى ــ صلى الله عليه وسلم ــ والعناية به وتشريفه عمـد النظـم القرآنـى إلـى مزيد من التقرير والتأكيد لـيزداد التـأثير فـى النفـس ويدخـل القلـب ويتعمق فى الشعور ولهذه القيمة البلاغية ذكر المسند إليـه مكـرراً فـى كثير من أى الذكر الحكيم ليتوثق المعنى فى النفـوس ومـن ذلـك قولـه ــ تعالى ــ (ما ودعك ربـك ومـا قلـى)[٢] ، وقولـه ــ تعـالى ــ : (ولسوف يعطيك ربك فـترضى)[٣] ، يقـول الألوسـى ــ رحمـه الله ــ : وفى إعادة اسم الـرب مـع إضافتـه إلـى ضميره ــ عليـه الصـلاة والسلام ــ ما لا يخفى أيضاً من اللطـف بـه ــ صلـى الله ــ تعـالى عليه وسلم"[٤] أشرت ــ آنفاً ــ إلى دقة النظـم الشـريف فـى تعريـف المسند إليه بالإضافة وإيثار لفظ الـرب دون اسـم الله العلـم[٥] ، وهنـا أنبه إلى أن النظم القرآنى يجرى على نسق دقيق فـى ترتيـب المعـانى

---

[١] مفاتيح الغيب للفخر الرازى : ٣١/٤٧٤.

[٢] الضحى : ٣ .

[٣] الضحى : ٥ .

[٤] روح المعانى : ٣/١٦١.

[٥] البحث ص ٢٧٥.

وثيقة الصلة بغرض الكلام وسياقه ، ترى ذلك جلياً في إيثار لفظ الرب معرفاً بالإضافة إلى ضميره ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون اسم الله العلم لما يدل عليه لفظ الربوبية من إظهار الرأفة واللطف وإدخال الأنس على قلب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأيضاً ـ فيه مزيد عناية وتشريف للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول سماحة الطاهر بن عاشور : "وتعريف (ربك) بالإضافة دون اسم الله العلم لما يؤذن به لفظ (رب) من الرأفة واللطف ، وللتوسل إلى إضافته إلى ضمير المخاطب لما في ذلك من الإشعار بعنايته برسوله وتشريفه بإضافته رب إلى ضميره"[1].

ومن أسرار التعبير القرآني إيثار النظم الشريف للتعبير بلفظ (يعطيك) دون التعبير بلفظ نعطيك ـ بالنون ـ الذي يدل على التعظيم فيه تكريم وتشريف لأمين الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ وللنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستشف ذلك من قول الفخر الرازي ـ رحمه الله : "كيف يقول الله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى)[2] "؟

الجواب : هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام جبريل ـ عليه السلام ـ معه ، لأنه كان شديد الاشتياق إليه وإلى كلامه ، فأراد الله

---

[1] التحرير والتنوير : ٣٠/٣٩٨.

[2] الضحى : ٥.

ـ تعالى ـ أن يكون هو المخاطب له بـــهذه البشـــارات"[١].

وتأمل دقـــة اســـتخدام القـــرآن الكريـــم لكلمـــات اللغـــة وحروفـــها استخداماً بلغ الغاية فى دقة التعبير[٢]، فقد آثر النظـــم الشـــريف المجـــئ بفاء التعقيب دون غيرها من حروف العطف ـ كثـــم ـ مثـــلاً ـ الـــذى يشـــير إلـــى دقـــة فـــاء العطـــف وكيـــف نـــهضت بتصويـــر المعنـــى أدق تصويـــو .

يقول سماحة الطاهر بـــن عاشـــور : "وجـــئ بفـــاء التعقيـــب فـــى (فترضى) لإفادة كون العطاء عاجل النفع بحيـــث يحصـــل بـــه رضـــى المعطى عند العطاء ، فلا يترقب أن يحصل نفعـــه بعـــد تربـــص"[٣].

"ويمضي سياق السورة يذكـــر الرســـول ـ صلـــى الله عليـــه وســـلم ـ ما كان من ربه معه منـــذ أول الطريـــق ، ليســـتحضر فـــى خـــاطره جميل صنع ربه به ، ومودته له ، وفيضـــه عليـــه ، ويســـتمتع باســـتعادة مواقع الرحمة والود والإيناس الإلهى وهو متـــاع فـــائق تحييـــه الذكـــرى على هذا النحو البديـــع :

(ألم يجدك يتيماً فـــآوى﴿٦﴾ ووجـــدك ضـــالاً فـــهدى ﴿٧﴾ ووجـــدك عائلاً فـــأغنى ﴿٨﴾)

---

[١] مفاتيح الغيب ٣١/٤٧٤ ، ٤٧٥.

[٢] خصائص التراكيب ، ٢٥٧ بتصرف .

[٣] التحرير والتنوير : ٣٠ /٣٩٨.

أنظر فى واقع حالك ، وماضى حياتك ، هل ودعك ربك ، وهل قلاك ، حتى قبل أن يعهد إليك بهذا الأمر ؟ ألم تحط يتمك رعايته ؟ ألم تدرك حيرتك هدايته ؟ ألم يعمر فقرك عطاؤه ؟.

لقد ولدت يتيماً فآواك إليه ، وعطف عليك القلوب حتى قلب عمك أبى طالب وهو على غير دينك ! ولقد كنت فقيراً فأغنى الله نفسك بالقناعة كما أغناك بكسبك ومال أهل بيتك ـ خديجة ـ رضى الله عنها ـ عن أن تحس الفقر أو تتطلع إلى ما حولك من ثراء"[1].

وفى الآيات بحوث :

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

ويمضى النظم الشريف يذكر النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بنعم الله ـ تعالى ـ عليه ، وهذه الآيات ترتبط بما قبلها ارتباطاً وثيقاً

يقول الفخر الرازى : "إن إتصاله بما تقدم هو أنه ـ تعالى ـ يقول : (ألم يجدك يتيماً) . فقال الرسول : بلى يا رب فقال : أنظر أكانت طاعتك فى ذلك الوقت أكرم أم الساعة ؟ فلابد من أن يقال : بل الساعة فيقول الله : حين كنت صبياً ضعيفاً ما تركناك بل ربيناك ورقيناك إلى حيث صرت مشرفاً على شرفات العرش وقلنا لك :

---

[1] فى ظلال القرآن : ٣٩٢٧/٣٠.

لولاك ما خلقنا الأفلاك ، أتظن أنّا بعد هذه الحالة نهجرك ونتركك؟[١]

الثاني : لقطات لغوية :

(ألم يجدك) ... قد وجدك ، والهمزة للاستفهام ، و(لم) جحد ، وفى الاستفهام طرف من الجحد ، وإذا وقع الجحد رجع إلى التحقيق كقوله ـ تعالى ـ : (أليس الله بأحكم الحاكمين)[٢] ومعناه : الله أحكم الحاكمين ، وكذا (أليس الله بكاف عبده)[٣] ومثله قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

المعنى : أنتم كذا "[٤].

(ويجدك) الوجود بمعنى العلم ... وقيل : بمعنى المصادفة[٥] . و(اليتيم) فى الناس من قبل الأب ، وفى البهائم من قبل الأم ، وكل شئ مفرد يعز نظيره فهو يتيم ، يقال : درة يتيمة"[٦].

و(فأوى) أوى إلى منزله يأوى من باب ضرب أوياً أقام ...

---

[١] مفاتيح الغيب : ٣١/٤٧٥.

[٢] التين : ٨.

[٣] الزمر : ٣٦.

[٤] الجامع لأحكام القرآن القرطبى : ٢٠/١٠٥.

[٥] الإرشاد لأبى السعود ٩/١٧٠.

[٦] مختار الصحاح للرازى : ٦٥٤.

والمأوى بفتح الواو لكل حيوان : مسكنه ..."[١].

و(ضالاً) يقال : الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً"[٢].

و(عائلاً) : أى فقيراً ... قال جرير :

الله نزل فى الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل[٣]

والعائل الذى لا مال له ، والفقر يسمى عيلة . قال ـ تعالى ـ: (وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء)[٤] ..."[٥].

والفاء : مرّبيان معناها[٦] وفى معنى الضلال فى الآية ذكرت آراء لا يحسن ذكرها ـ نسأل الله العصمة من الإساءة فى العبارة ـ وقد ذكروا فى معنى الضلال فى هذه الآية وجوها كثيرة ننتخب بعضها:

منها : ما روى عن ابن عباس والضحاك وشهر بن حوشب (وجدك ضالا) عن معالم النعمة وأحكام الشريعة غافلاً عنها فهداك إليها ، وهو المراد من قوله ـ تعالى ـ : (ما كنت تدرى ما الكتاب ولا

---

(١) المصباح.

(٢) المفردات للراغب ، ص ٥٥٠.

(٣) الدر المصون للسمين الحلبى : ٥٣٩/٦.

(٤) التوبة : ٢٨.

(٥) التحرير والتنوير : ٤٠٠/٣٠.

(٦) البحث ، ص ٢٨٦.

الإيمان)[١] ، وقوله ـ تعالى ـ : (وإن كنت من قبله لمن الغافلين)[٢] .

ومنها : أنه قد يخاطب السيد ، ويكون المراد قومه ، فقوله : (وجدك ضالاً) : أى وجد قومك ضلالاً ، فهداهم بك وبشرعك .

ومنها : ضالاً عن القبلة ، فإنه كان يتمنى أن تجعل الكعبة قبلة له ، وما كان يعرف أن ذلك هل يحصل له أم لا ؟ ، فهداه الله بقوله ـ تعالى ـ (فلنولينك قبلة ترضاها)[٣] ، فكأنه سمى ذلك التحير بالضلال.

ومنها : الضلال بمعنى المحبة كما فى قوله ـ تعالى ـ (إنك لفى ضلالك القديم)[٤] أى محبتك ، ومعناه : أنك محب فهديتك إلى الشرائع التى تتقرب بها إلى خدمة محبوبك.

ومنها : ضالاً عن أمور الدنيا لا تعرف التجارة ونحوها ، ثم هديتك حتى ربحت تجارتك وعظم ربحك حتى رغبت خديجة فيك ، والمعنى : أنه ما كان لك وقوف على الدنيا ، وما كنت تعرف سوى

---

[١] الشورى : ٥٢.

[٢] يوسف : ٣ .

[٣] البقرة : ١٤٤.

[٤] يوسف : ٩٥.

الدين فهديتك إلى مصالح الدنيا بعد ذلك"[١].

وجملة القول أن المراد بالضلال : عدم الاهتداء إلى الطريق الموصل إلى مكان مقصود سواء سلك طريقاً آخر يبلغ إلى غير المقصود، أم وقف حائراً لا يعرف أى طريق يسلك ، وهو المقصود هنا لأن المعنى : أنك كنت فى حيرة من حال أهل الشرك من قومك فأراكه الله غير محمود وكرهه إليك ... وليس المراد من الضلال هنا اتباع الباطل ، فإن الأنبياء معصومون من الإشراك قبل النبوة باتفاق علمائنا"[٢].

الثالث : لطائف بلاغية :

قوله ـ تعالى : (ألم يجدك يتيماً ... إلخ) استفهام ، والسؤال للاستعلام محال على العلام ، فلابد لمجئ الاستفهام فى كلام رب العالمين من فائدة ، فالاستفهام فى الآية خرج عن معناه الأصلى ليفيد معنى آخر : أعنى به أنه استفهام تقريرى على النفى والمقصود التقرير على إثبات المنفى "وهذا التقرير بالهمزة لإنكار النفى وتقرير المنفى على أبلغ وجه كأنه قيل : قد وجدك ... إلخ"[٣].

---

(١) مفاتيح الغيب : ٣١/٤٧٨ : ٤٨٠ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير : ٣٠/٤٠٠.

(٣) روح المعانى : ٣٠/١٦١.

ومعنى التقرير : "حملك المخاطب على الإقرار والإعتراف بأمر قد استقر عنده ... والكلام مع التقرير موجب ، ولذلك يعطف عليه صريح الموجب ، ويعطف على صريح الموجب فالأول كقوله :(ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى) ... ويجب أن يلى الأداة الشئ الذى تقرر بها ... كما يجب فى الاستفهام الحقيقى ... وحقيقة استفهام التقرير : أنه استفهام إنكار ، والإنكار نفى وقد دخل على المنفى ، ونفى المنفى إثبات..." وجواب الاستفهام التقريرى يكون بنعم أو بلى يقول صاحب البرهان : "والجواب يتوقف على مقدمة ، وهى أن الاستفهام إذا دخل على النفى يدخل بأحد وجهين :

إما أن يكون الاستفهام عن النفى : هل وجد أم لا ؟ فيبقى النفى على ما كان عليه أو للتقرير : كقوله : ألم أحسن إليك ؟ وقوله ــ تعالى ــ : (ألم نشرح لك صدرك)[1] و (ألم يجدك يتيماً)[2]؟ ، فإن كان بالمعنى الأول لم يجز دخول (نعم) فى جوابه إذا أردت إيجابه ، بل تدخل (بلى) .

وإن كان بالمعنى الثانى ــ وهو التقرير ــ فللكلام حينئذ لفظ

---

[1] الشرح : ١ .

[2] الضحى : ٦.

ومعنى ، فلفظه نفى داخل عليه الاستفهام ، ومعناه الإثبات ، فبالنظر إلى لفظه تجيبه ببلى وبالنظر إلى معناه ، وهو كونه إثباتاً تجيبه بنعم"[١].

وجعل بعضهم الاستفهام فى الآية للتذكير"[٢].

ولفظة (يجدك) تحتمل توجيهات عدة منها :

المجاز المرسل من قبيل إطلاق اسم الملزوم على اللازم ، وهى من العلاقات التى زادها البلاغيون بعد الخطيب ويمكن وضعها تحت إدخال السبب على المسبب .

ذكر صاحب عروس الأفراح العلاقات التى ذكرها الخطيب ثم عقب بقوله : (ومنها : مجاز إطلاق اسم الملزوم على اللازم كقوله ــ تعالى ــ (أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون)[٣] أطلق الكلام على الدلالة لأنها لازمة له ، وفيه نظر ، لأنه دخل فى إطلاق السبب على المسبب"[٤] .

قال البيضاوى فى تحليله للآية : (ويجدك) من الوجود بمعنى

---

[١] البرهان للزركشى ، ٣٣١/٢ : ٣٣٥.

[٢] المرجع السابق ، ٣٤٠/٢.

[٣] الروم : ٣٥.

[٤] عروس الأفراح للسبكى ضمن الشروح ، ٤٣/٤.

العلم و(يتيماً) مفعوله الثانى ، أو المصادفة ويتيماً حال"[١].

وينص الشهاب على أن فى كلام البيضاوى فى الآية مجازاً مكتفياً بذكر كلمة مجاز دون تحديد لنوعه ، أو لنوع العلاقة يقول : "وقوله ـ أى البيضاوى ـ : أو المصادفة معطوف على العلم ، وهو على هذا مجاز عن تعلق علمه به لأن المصادفة لا تصح فى حقه ـ تعالى ـ لأنها ملاقاة ما لم يكن فى علمه وتقديره كذا قيل ، وهو على الأول مجاز ، فإن أصل معنى وجدته أصبته على صفة ، ويلزمه العلم كما ذكره الرضى ، وهو يقتضى أن حقيقته المصادفة وأنه فى العلم مجاز"[٢].

وفى توجيه معنى المجاز فى الآية يقول الشيخ إسماعيل حقى ـ رحمه الله ـ "ويجوز أن يكون الوجود بمعنى المصادفة ، ويتيماً حال من مفعوله : يعنى على المجاز بأن يجعل تعلق العلم الوقوعى الحالى مصادفة ، وإلا فحقيقة المصادفة لا تمكن من حقه ـ تعالى"[٣].

---

[١] تفسير البيضاوى ، ٥٦٤/٢.

[٢] حاشية الشهاب : ٣٧٢/٨.

[٣] روح البيان للشيخ إسماعيل حقى : ٤٥٦/١٠.

أو التمثيل واحتمال ذلك كله وارد ، لأن النظم الشريف لا يأباه فضلاً عن أنه لا تعارض فى ذلك وإنما هى وجهات نظر. يقول سماحة الطاهر بن عاشور : "... وفعل (يجدك) مضارع وجد بمعنى ألقى وصادف ... ومفعوله : ضمير المخاطب ... والكلام تمثيل لحالة تيسير المنافع التى تعسرت عليه بحالة من وجد شخصاً فى شدة يتطلع إلى من يعينه أو يغيثه"[١].

ولا يخفى أن البلاغيين ذكروا أن اللفظ الواحد يصلح لأن يتضمن أكثر من لون من ألوان البيان مثل كون الآية صالحة لجعلها مجازاً مرسلاً أو تمثيلاً.

يقول السعد : "إذا أطلق نحو المشفر على شفة الإنسان فإن أريد تشبيهها بمشفر الإبل فى الغلظ فهو استعارة ، وإن أريد أنه إطلاق المقيد على المطلق كإطلاق المرسن على الأنف من غير قصد إلى التشبيه فمجاز مرسل، فاللفظ الواحد بالنسبة إلى المعنى الواحد يجوز أن يكون استعارة ، وأن يكون مجازاً مرسلاً باعتبارين"[٢].

ومن اللطائف البلاغية فى الآية الفصل بين قوله ـ تعالى ـ

---

[١] التحرير والتنوير : ٣٠/٣٩٩.

[٢] المطول على التلخيص للتفتازانى ، ص ٣٥٧ ، مطبعة أحمد كامل ، ١٢٣١هـ .

(ألم يجدك يتيماً فآوى) ، وبين قوله ـ تعالى ـ قبله : (ولسوف يعطيك ربك فترضى) والفصل بين الآيتين لكمال الاتصال ، وإنما كان كمال الاتصال؛لأنه "إذا قويت العلاقة بين الجملتين اتصلتا من ذات نفسيهما وتداخلتا وصارتا كالشئ الواحد ، فإذا أدخلت الواو بينهما فكأنك عمدت إلى جسم غريب وأقحمته بين الشئ ونفسه ، ما لم يكن لك من وراء ذلك مغزى"[١].

يقول الآلوسى ـ رحمه الله ـ : "وقوله (ألم يجدك يتيماً فآوى) تعديد لما عليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أول أمره إلى وقت النزول من فنون النعماء العظام ليستشهد بالخاص الموجود على المترقب الموعود؛فيزداد قلبه الشريف وصدره الرحيب طمأنينة وسروراً وإنشراحاً وحبوراً ولذا فصلت الجملة"[٢].

ومفاد كلام الآلوسى : أن بين الآية والتى قبلها فصلاً لما أن الثانية وافية بالمراد ، والشهاب ـ رحمه الله ـ يلمح إلى صورة الفصل . يقول : "قوله : أى البيضاوى ـ (تعديد ... إلخ) إشارة إلى وجه الفصل ، وأنه كقوله : "أمدكم بأنعام

---

[١] دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٣١٢ ، ط ١ ، مكتبة وهبه ، ١٣٩٩ــ ١٩٧٩م .

[٢] روح المعانى للآلوسى : ١٦١/٣٠.

الآيــة[١] ...»[٢].

فإن قلت : ما صورة الفصل فى الآيـــة ؟

قلت : هى كمال الاتصال "الــذى يكــون بيــن الجملتيــن فيمنــع من العطف إذ عطف إحداهما على الأخــرى معــه كعطــف الشــئ على نفسه فيتحقق ذلك الكمال بينــهما لأجــل ... أو لكــون الجملــة الثانية بدلاً منــها : أى بــدلاً مــن الأولــى ... فكونــها بــدلاً مــن موجبات كمال الإتصال ، ثــم الــذى يتحقــق بــه الاتصــال ثلاثــة أقسام : القسم الأول : بدل الكــل مــن الكــل ... والقســم الثــانى : بدل البعض من الكل ، والقسم الثالث : بــدل اشــتمال"[٣].

فالآية الكريمة من القسم الثانى الــذى هــو بــدل البعــض مــن الكــل ، وذلــك لأن قولــه ــ تعــالى ــ (ولســوف يعطيــك ربــك فترضى) "وعد واسع الشــمول لمــا أعطيــه النبــى ــ صلــى الله عليه وسلم ــ من النصر والظفر بأعدائــه يــوم بــدر وفتــح مكــة ودخول الناس فى الدين أفواجاً وما فتــح علــى الخلفــاء الراشــدين

---

[١] الشعراء : ١٣٣.

[٢] حاشية الشهاب : ٣٧٢/٨.

[٣] مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب ضمن الشروح ٣٠/٣ ، ٣٩، ٤٢ ، وينظر الإيضاح للقزوينى ، ص٨٩ ، مكتبة ومطبعة محمــد علــى صبيــح وأولاده ، ١٤٠٢هـــ ــ ١٩٨٢م.

ومن بعدهم من أقطار الأرض شرقاً وغرباً"[١] هذه من نعم الدنيا وأيضًا ـ يحمل هذا الوعد على نعم الآخرة "فيمكن حمله على المنافع ويمكن حمله على التعظيم ... والأولى حمل الآية على خيرات الدنيا والآخرة "[٢]. فهذه الآية مسوقة للتنبيه على نعم الله ـ تعالى ـ على نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقوله ـ تعالى ـ : (ألم يجدك يتيماً فآوى)... الآيات ، أوفى بتأدية المراد الذى هو التنبيه على نعم الله ـ تعالى ـ لأنها تدل على النعم بالتفصيل إذ المقام يقتضى الاعتناء بشأن هذه وتفصيلها ، فالعطاء بما ذكر من وجوده ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتيماً فآواه ، وضالاً فهداه ، وعائلاً فأغناه بعض عطاء الله ـ تعالى ـ الذى سوف يرضى نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ لا محالة.

"ووجه حسن هذا الضرب هو ... وفى المنزل منزلة بدل البعض تفصيل وتنصيص ... ولا يخلو من التوكيد لأن فيه تكريراً للمعنى وتحقيقاً "[٣].

قوله ـ تعالى ـ : (ووجدك ضالاً فهدى) . قال أهل التفسير "عطف على ما يقتضيه الإنكار السابق ... أو على

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٠/٣٩٨.

(٢) البحث ص ٢٨٣،٢٨٤

(٣) دلالات التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ٣٢٢ بتصرف .

المضارع المنفى بـ لم داخل فى حكمه ـ أى قوله ـ تعالى (ألم يجدك) كأنه قيل : أما وجدك يتيماً فآوى ووجدك غافلاً عن الشرائع التى لا تهتدى إليها العقول ... فهداك ... ووجدك فقيراً ... فأغناك"[١].

فقوله ـ تعالى ـ : (ووجدك ضالاً فهدى) عطف على الجملة الاستفهامية (ألم يجدك يتيماً فآوى)؛لأنها فى معنى : قد وجدك يتيماً فآوى من حيث إن همزة الإنكار إذا دخلت على حرف النفى أفادت التقرير ، وقد قرت تحقيق ذلك[٢].

فقوله ـ تعالى ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى) ، إنشائية لفظاً خبرية معنى ، وقوله ـ تعالى ـ : (ووجدك ضالاً فهدى) خبرية لفظاً ومعنى ، ولذا وصل بينهما بحرف العطف الواو ، وهذه إحدى صور الوصل للتوسط بين الكمالين : أى ـ كمال الانقطاع بلا إيهام وكمال الاتصال ـ حيث اتحدت الجملتان فى الخبرية معنى فقط ولفظ الأولى إنشاء لفظاً خبر معنى والثانية خبرية لفظاً ومعنى ، وقد وضح العلامة سعد الدين صور التوسط بين الكمالين قال : "... وأما الوصل للتوسط (فإذا

---

(١) الإرشاد لأبى السعود ، ٩/١٧٠ ، ١٧١ ، وينظر روح المعانى : ٣٠/١٦١.

(٢) البحث ، ص٢٩٦.

اتفقتا) ؛ أى الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى أو معنى فقط بجامع : أى مع وجود جامع بينهما والاتفاق المذكور إنما يتحقق: إذا كان كلتا الجملتين خبريتين لفظاً ومعنى ، أو إنشائيتين كذلك ، أو كان كلتاهما خبريتين معنى فقط بأن يكونا إنشائيتين لفظاً ، أو تكون الأولى إنشائية لفظاً والثانية خبرية أو بالعكس ، أو كان كلتاهما إنشائيتين معنى فقط بأن تكونا خبريتين لفظاً ، أو تكون الأولى خبرية لفظاً والثانية إنشائية معنى ، أو بالعكس ، فالمجموع ثمانية أقسام"[١].

وفى قوله ــ تعالى ــ (ضالاً) استعارة ، وهى الأنسب بنظم الكلام ومقتضى المقام ، خلافاً لما يفهم من ظاهر تفسير بعضهم أن الضلال حقيقى . يقول البيضاوى : "... وقيل[٢] : وجدك ضالاً فى الطريق حين خرج بك أبو طالب إلى الشام أو حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك إلى جدك فأزال ضلالك عن عمك وجدك"[٣] فالضلال على هذا المعنى بمعناه الحقيقى ، ورد هذا بأنه لا يناسب نعم الله على نبيه ــ صلى الله عليه

---

[١] المطول على التلخيص للتفتازانى ، ص ٢٦٢.

[٢] ينظر الكشاف ٢٦٤/٤ ، ٢٦٥ ، والإرشاد لأبى السعود ١٧٦/٩ ، ومفاتيح الغيب ٤٧٩/٣١ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ، ٩٧/٢٠ ، وروح البيان للشيخ / إسماعيل حقى ٤٥٧/١٠.

[٣] تفسير البيضاوى : ٥٦٤/٢.

وسلم ـ المذكورة فى السورة . يقول الشهاب ـ رحمه الله ـ ومرضه : "قوله ـ أى البيضاوى ـ وقيل : وجدك ضالاً ...إلخ ، فهو بمعناه الحقيقى ومرضه؛لأن مثله بالنسبة لما قدمه لا يعد من نعم الله ـ تعالى ـ على مثل نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ التى يمتن بها عليه"[١] .

والأولى حمل الكلام على الاستعارة ، فيكون الضلال مستعمل فى غير ما وضع له ، والاستعارة تصريحية تبعية لأنها فى المشتق ، وهو فى الآية اسم فاعل ، ويكون معنى : الضلال : عدم معرفة علم الحكم والأحكام .

يقول الشهاب : "قوله (عن علم الحكم) جمع حكمة ، وهى العلوم الحقة النافعة ، فالضلال مستعار من ضل فى طريقه إذا سلك طريقاً غير موصلة لمقصده لعدم ما يوصله للعلوم النافعة، وهو ما ذكر من الوحى وما بعده "[٢].

وهذا التقديم الذكرى ، وأعنى به تقديم قوله ـ تعالى ـ (ووجدك ضالا فهدى) على قوله ـ تعالى ـ : (ووجدك عائلاً فأغنى) والغرض من هذا التقديم إظهار الإمتنان . قال الشيخ

---

[١] حاشية الشهاب ٨/٣٧٢.

[٢] حاشية الشهاب ٨/٣٧٢.

إسماعيل حقى : (قدم هذا الإمتنان على الأخيرة لأن ابتداءه بعد زمان اليتم وقت التكليف فإنه ـ عليه السلام ـ كان موفقاً للنظر الصحيح حينئذ ، ولهذا لم يعبد صنماً قط ، ولم يأت بفاحشة"[١].

وأعنى بالتقديم الذكرى ذلك النوع من التقديم الذى لا يتغير معه المعنى قدم أو أخر[٢] .

يقول العلامة ابن الأثير : "النوع التاسع من التقديم والتأخير، وهذا باب عريض يشتمل على أسرار دقيقة ... وهو ضربان : الأول... والثانى : يختص بدرجة التقدم فى الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك ولو أُخّر لما تغير المعنى"[٣].

وهذا القسم من التقديم : "لا يختص بالمفردات من الطرفين ومتعلقاتهما"[٤].

---

[١] روح البيان ١٠/٤٥٧.

[٢] مباحث علم المعانى فى ضوء تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى ، عرض وتحليل رسالة دكتوراه للباحث ، ص ٣١٢ ، مخطوط كلية اللغة العربية بالقاهرة وأسيوط ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

[٣] المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق ا.د/ أحمد الحوفى ، وا.د/ بدوى طبانه ٢/٢١٠ ، ط٢ ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٣م .

[٤] البلاغة العالية(علم المعانى) للشيخ عبد المتعال الصعيدى،ص ٧٩، المطبعة السلفية ، ١٣٥٥هـ

وفى قوله ـ تعالى ـ : (ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى)[١] إيجاز بالحذف حيث حذف المفعول فى ثلاثة مواضع هى : فآوى ـ فهدى ـ فأغنى وهذا مما جاء فيه حذف المفعول مشيراً إلى جملة فوائد .

يقول سماحة الطاهر ابن عاشور : "وحذفت مفاعيل : (فآوى، فهدى ، فأغنى) للعلم بها من ضمائر الخطاب قبلها ، وحذفها إيجاز ، وفيه رعاية على الفواصل"[٢].

ومقصد آخر تراه وراء حذف المفعول فى الآية ، وهو الدلالة على سعة كرمه ـ تعالى ـ وهذا يعنى : أن الحذف لإرادة العموم يذكر ذلك الشهاب فى حاشيته وعبارته التى يشير فيها إلى ذلك هى "وقيل: إنه لم يذكر المفعول فيها؛ليدل على سعة الكرم والمراد : آواك وآوى لك وبك ، وهداك وبك ولك ، وأغناك وبك ولك"[٣].

والحكمة فى ذكر هذه النعم "أن لا ينسى نفسه فيقع فى

---

[١] الضحى : ٦ –٨ .

[٢] التحرير والتنوير ٣٠/٤٠٠ ، وينظر الحذف البلاغى فى القرآن الكريم ، أ/ مصطفى عبد السلام أبو شادى ، ص ٦٠ ، مكتبة القرآن ، ١٩٩٢م .

[٣] حاشية الشهاب ، ٨/٣٧٢ ، وينظر روح المعانى ٣٠/١٦٣.

العجب"[١] وأيضًا المراد من تعديد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه ـ عليه السلام ـ للإطمئنان بعد التوديع"[٢]

(فأما اليتيم فلا تقهر ﴿٩﴾ وأما السائل فلا تنهر ﴿١٠﴾ وأما بنعمة ربك فحدث ﴿١١﴾)

فى الآيات بحوث :

الأول : سر مناسبتها لما قبلها :

ترتبط هذه الآيات بما قبلها إرتباطاً وثيقاً . يقول الشهيد/ سيد قطب ـ رحمه الله ـ " وبمناسبة ما ذكره ربه بإيوائه من اليتيم وهدايته من الحيرة وإغنائه من العيلة ... يوجهه ويوجه المسلمين من ورائه إلى رعاية كل يتيم ، وإلى كفاية كل سائل ، وإلى التحدث بنعمة الله الكبرى عليه ، وفى أولها : الهداية إلى هذا الدين"[٣].

الثانى : سبب النزول :

قالوا فى سبب النزول : عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لقد سألت ربى مسألة ، وودت أنى لم أكن سألته قلت : يا رب إنه قد كانت الأنبياء قبلى منهم من سخرت له الريح ، وذكر سليمان بن داود ، ومنهم من كان

---

[١] مفاتيح الغيب : ٣١/٤٨٣.

[٢] روح البيان : ١٠/٤٥٨.

[٣] فى ظلال القرآن : ٦/٣٩٢٧.

يحيى الموتى وذكر عيسى بن مريم ﷺ قال : قال : ألم أجدك يتيماً فآويتك ؟ قال : قلت : بلى ، قال : ألم أجدك ضالاً فهديتك ؟ قال : قلت : بلى يا رب ، قال : ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ؟ . قال : قلت : بلى يا رب ، قال : ألم أشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك ؟ قال : قلت : بلى يا رب"[١] .

الثالث : لقطات لغوية :

الفاء فى قوله ـ تعالى ـ : "فأما ، وفى قوله ـ تعالى ـ : (فلا) والواو فى قوله ـ تعالى ـ (وأما السائل ... وأما بنعمة...) واليتيم فى قوله تعالى ـ : (فأما اليتيم ...) قد مر تحقيق ذلك وبيان المراد منه فلا حاجة لإعادته[٢] .

وأما (أمّا) فى قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم ... وأما السائل... وأما بنعمة ...) فقد قال أهل العلم : "أما المفتوحة الهمزة المشددة الميم كلمة فيها معنى الشرط بدليل لزوم الفاء فى جوابها ، وقدرها سيبويه بمهما ، وفائدتها فى الكلام أنها تكسبه فضل تأكيد"[٣].

---

[١] أسباب النزول للواحدى ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩.

[٢] البحث ص ٢٨٥، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧.

[٣] البرهان للزركشى ٤/٢٤٢.

وقد أشار السيوطى ـ رحمه الله ـ إلى دلالة أما بقوله : "أما بالفتح والتشديد حرف شرط وتفصيل وتوكيد ، أما كونها حرف شرط ، فبدليل لزوم الفاء بعدها ... وأما التفصيل فهو غالب أحوالها ... وأما التوكيد ، فقال الزمخشرى : فائدة أمّا فى الكلام تعطيه فضل توكيد ... ويفصل بين أما والفاء إما مبتدأ ... أو جملة شرط ... أو اسم منصوب بالجواب نحو : (فأما اليتيم فلا تقهر...)[1]"[2].

والقهر : الغلبة والتذليل معاً ، ويستعمل فى كل واحد منهما، قال الراغب : قوله : "فلا تقهر : أى لا تذله ، وقال غيره : فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه"[3].

والنهر والانتهار : الزجر بمغالظة : أى فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً جميلاً"[4].

الرابع : لطائف بلاغية :

نبهت ـ آنفاً ـ إلى معانى الحروف التى جاءت فى النظم الشريف ، وهنا أنبه إلى أن "هذه هى معانى النحو لهذه الأدوات

---

(1) الضحى : ٩ .

(2) الإتقان للسيوطى ١/٢٠٠ ، ٢٠١.

(3) روح البيان للشيخ / إسماعيل حقى ١٠/٤٥٨ ، وينظر المفردات للراغب ٤٢٩.

(4) روح البيان ١٠/٤٥٨ ، وينظر حاشية الجمل ٤/٥٥٣.

الروابط ، وبلاغتها فى الكلام راجعة إلى توخى هذه المعانى ، وحسن تنزيلها على حسب الأغراض والمقاصد المؤمة : أى التى يؤمها المتكلم ويتجه إليها ، والاجتهاد فى كشف ملائمات هذه الروابط لأغراضها التى سيقت إليها تجلية لجوانب دقيقة فى بلاغة الكلام ، واتقان بنيته ، وإحكام عقده"[1].

فى قوله ــ تعالى ــ : (فأما اليتيم فلا تقهر) اجتمعت الفاء الفصيحة وأمّا وفاء السببية ، وفى اجتماع هذه الحروف دقائق ولطائف ، وفيه من الحسن والمزية ما ليس لواحدة على حدها ، وللإفصاح عما فى اجتماع هذه الحروف من الحسن والمزية ، نقول : "الفاء فى قوله ــ تعالى ــ : (فأما اليتيم) فصيحة تفصح عن محذوف ، وهذا المحذوف جملة ، ولا يخفى ما فى الحذف من الإيجاز والاختصار ، وقد دل على المحذوف (أما) "وإما تفيد شرطاً مقدراً تقديره : مهما يكن من شئ ، فكان مفادها مشعراً بشرط آخر مقدر هو الذى اجتليت من أجله الفاء الفصيحة ، وتقدير نظم الكلام: إذا كنت تعلم ذلك وأقررت به فعليك بشكر ربك ، ويبين له الشكر بقوله : (فأما اليتيم فلا

---

[1] دلالات التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٣٦٥ ، ٣٦٦.

تقهر) إلـــخ[١] ...»[٢].

وصدر الكلام بأما التفصيلية؛ لأنه تفصيل لمجمـــل الشـــكر علـــى النعمة»[٣]. والفاء فى قولـــه ــ تعـــالى ــ : (فـــلا تقـــهر) ســـببية . يقول الشيخ إسماعيل حقـــى ــ رحمـــه الله : "والفـــاء ســـببية ليـــس بمانعة . قال الرضى : يتقدم المفعـــول بـــه علـــى الفعـــل إن كـــان المنصوب معمولاً لما يلى الفاء التى فى جواب أما إذا لـــم يكـــن لـــه منصوب سواه نحو قوله : (فأما اليتيم فـــلا تقـــهر)؛ لأنـــه لابـــد مـــن نائب مناب الشرط المحذوف بعـــد أمـــا»[٤] .

وقد عد ابن رشيق الإصابة فى مواقع الفـــاء أدخـــل فـــى صنعـــة المطبوعين من الإصابة فى التجنيـــس والطبـــاق ، وأن الأول أشـــبه بجزالة الفطرة وصحة الطبع ... والعرب الخلص لـــم ينظـــروا فـــى أعطاف كلامهم ليجانسوا أو يطـــابقوا ، ولكـــن ليبســـطوا معانيـــه ، ويتقنوا بنيته ويحكموا عروتـــه»[٥].

---

[١] الضحى : ٩ ــ ١١.

[٢] التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور : ٣٠/٤٠١.

[٣] المرجع السابق : ٣٠/٤٠١ .

[٤] روح البيان للشيخ /إسماعيل حقى : ١٠/٤٥٨.

[٥] دلالات التراكيب ، ص ٣٦٦ ، وينظر : العمدة فى محاسب الشعر وآدابه ونقده لابن رشـــيق ، تحقيق الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد ، ١/١٢٩ ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م.

والتقديم فى قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم...) من تقديم المفعول على الفعل لمراعاة الفاصلة : أى للمحافظة على رؤوس الآى .

يقول ابن الأثير : "وإنما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعى"[١] الذى هو على حرف الراء وكون التقديم لمراعاة الفاصلة لا يأباه النظم الشريف "ولكن هذا القول قد رفضه كثير من البلاغيين لأنه علة ـ كما يقولون ـ لفظية لا ينبغى أن تكون مقصداً فى الأسلوب القرآنى الذى بنى على مراعاة المعانى لا الألفاظ"[٢].

وقد أدرك أئمة التفسير أن الأسلوب القرآنى "حين يراعى الفاصلة ويبقى على تنغيمها إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله فى التأثير ؛ لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل فى النفس والضمير وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات ... ترتيلاً يتهدج فيه صوته ويتماوج مع ألحانها ثم ينتهى إلى هذه الفواصل ، فيجد عندها القرار"[٣]. لذا نجد أئمة التفسير يضيفون إلى المحافظة

---

[١] المثل السائر لابن الأثير ، ٢/٢١٤.

[٢] خصائص التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٧.

[٣] خصائص التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨.

على رؤوس الآى غرضاً آخر يرجع إلى المعانى "يقوى به الأداء اللفظى دون أن يكون الزخرف الشكلى هو الأصل"[١]. لذا نجدهم يذكرون فى الآية غرضاً آخر للتقديم هو الاهتمام والعناية بالمقدم.

يقول سماحة الطاهر بن عاشور : "واليتيم مفعول لفعل (فلا تقهر) وقدم للاهتمام بشأنه ولهذا القصد لم يؤت به مرفوعاً ، وقد حصل مع ذلك الوفاء باستعمال جواب (أما) أن يكون مفصولاً عن (أما) بشئ كراهية موالاة فاء الجواب لحرف الشرط.

ويظهر أنهم ما ألتزموا الفصل بين (أما) وجوابها بتقديم شئ من علائق الجواب إلا لإرادة الاهتمام بالمقدم ، لأن موقع (أما) لا يخلو عن اهتمام بالكلام اهتماماً يرتكز فى بعض أجزاء الكلام ، فاجتلاب (أما) فى الكلام أثر للاهتمام ، وهو يقتضى أن مثار الاهتمام بعض متعلقات الجملة ، فذلك هو الذى يعتنون بتقديمه"[٢].

وهذا الذى ذكرناه فى قوله ــ تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر)

---

[١] خصائص التراكيب ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨.

[٢] التحرير والتنوير : ٣٠/٤٠١.

من حيث دلالة ــ أما وتقديم المفعول وفاء السببية يجرى فى قوله ــ تعالى ــ (وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث) والله أعلى وأعلم .

"والتعريف فى السائل تعريف الجنس ، فيعم كل سائل : أى عما يسأل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن مثله"[١].

والآية بينة لجميع الخلق ، لأن كل واحد من الناس كان فقيراً فى الأصل فإذا أنعم الله عليه وجب أن يعرف حق الفقراء. قال إبراهيم بن أدهم : "القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة"[٢].

ومن الدقائق البلاغية فى الآيات ذلك التقديم الذكرى ــ وقد مر بيان معناه[٣] ــ وأعنى به تقديم قوله ــ تعالى ــ : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر) على قوله ــ تعالى ــ : (وأما بنعمة ربك فحدث) حيث لم يراع فيه تقديم حق الله ــ تعالى ــ على حق العبد ، وإنما قدم حق العبد على حق الله ــ تعالى ــ لمعان لطيفة يهدى إليها السياق ، والسياق له أثر فاعل

---

[١] التحرير والتنوير : ٣٠/٤٠٣.

[٢] روح البيان : ١٠/٤٥٨، ٤٥٩.

[٣] البحث ص ٣٠٩، ٣١٠.

فى تحديد الدلالات . وقد ذكروا من أسرار هذا التقديم : أنه سبحانه وتعالى ـ غنى عن العالمين أو لتقديم التخلية على التحلية ، أو للترقى ـ من الأدنى إلى الأعلى ـ أو لمراعاة الفواصل ، والنظم الشريف يوحى بجل هذه التوجيهات . يقول الألوسى ـ رحمه الله : "لم يراع الترتيب لتقديم حقوق العباد على حقه عز وجل ـ فإنه سبحانه وتعالى ـ غنى عن العالمين، وقيل لتقديم التخلية على التحلية ، أو للترقى ، أو لمراعاة الفواصل ، ونظر فى كل ذلك"[1] .

ولا يمكننا أن ندع قول الألوسى ـ رحمه الله ـ "ونظر فى كل ذلك " ولذا قلنا بجل ، ولم نقل بكل ، لأن رعاية المحافظة على الفاصلة هنا ـ تتحقق من غير مراعاة هذا التقديم الذكرى، والله أعلى وأعلم .

والنهى فى قوله ـ تعالى ـ : (فلا تقهر ... فلا تنهر) والأمر فى قوله ـ تعالى ـ : (فحدث) للوجوب ، وهو خطاب للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والحكم عام له ولأمته . قال القرطبى : "الخطاب للنبى والحكم عام له ولغيره"[2].

---

[1] روح المعانى : ١٦٥/٣٠.

[2] تفسير القرطبى : ١٠٢/٢٠.

ولا يخفى لطف وجمال وحسن الفاصلة فـــى قولـــه ــ تعـــالى ــ (تقهر ــ تنهر) وهـــو مـــا نبـــه إليـــه الســـيوطى ــ رحمـــه الله ــ وعـــده مـــن زياداتـــه بعـــد أن قســـم الفاصلـــة إلـــى : مطـــرف ، ومتوازى، ومرصـــع ، ومتـــوازن . قـــال "بقـــى نوعـــان بديعيـــان متعلقان بـــالفواصل :

الأول : التشريع ...والثانى : الاستلزام وعد مـــن أســـمائه الالـــتزام والإعنات وهو أن يلـــتزم فـــى الشـــعر والنـــثر حرفـــاً أو حرفيـــن فصاعداً قبل الرومى بشرط عـــدم الكلفـــة مثـــال الـــتزام حـــرف : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما الســـائل فـــلا تنـــهر) الـــتزم الـــهاء قبـــل الـــواء"[١].

ومما يزيد جمال وحســـن هـــذه الفاصلـــة كمـــا يقـــول العلـــوى اليمنى : "أن تكونا متساويتين فـــى أنفســـهما مـــن غـــير زيـــادة ولا نقصـــان ، وهـــذا كقولـــه ــ تعـــالى ــ : "... وقولـــه ــ تعـــالى ــ (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فـــلا تنـــهر)[٢] ..."[٣] .

---

[١] شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ، ص ١٥٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البـــابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٥٨ هـــ ــ ١٩٣٩م ، وينظر الإتقان فى علوم القـــرآن للســـيوطى ١٣٣/٢ ، وينظر التحبير فى علم التفسير له ، ص ٣٠٤.

[٢] الضحى : ٩،١٠.

[٣] الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى ، ٣٥٤/٣،دار الكتب العلمية ،=

والعسكرى يرى : "أن فى القرآن سجعاً لكنه على درجة عالية من البداعة والروعة التى يفوق بها سجع البشر ، فهو مؤنس للنفس وممتع للسمع مع تجلية وخدمة للمعنى ، وأنه لا نهى عن سجع إلا إذا كان متكلفاً ثقيلاً"[١] .

يقول : "لا يحسن منثور الكلام ولا يحلو حتى يكون مزدوجاً، ولا تكاد تجد لبليغ كلاماً يخلو من الازدواج ، ولو استغنى كلام عن الإزدواج لكان القرآن ؛ لأنه فى نظمه خارج من كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل فى أوساط الآيات فضلاً عما تزاوج فى الفواصل منه ... وأما ما زووج بينه بالفواصل فهو كثير"[٢] وذكر منه الآيتين".

وترى دقة النظم الشريف إذا تأملت قوله ـ تعالى ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث"[٣]،

=بيروت، بدون .

[١] دراسات وتطبيقات فى علم البديع ، ا.د/ يحي محمد مبي: ٢٣٧ ، ط ١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

[٢] كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم: ٢٦٠، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

[٣] الضحى : ٦ـ١١.

وقد تقدم جملة من هذه المعانى فأغنى عن إعادته ـ هنا[١] ـ ومن هذه المعانى اللطيفة : اللف والنشر ، وبعد مراجعة ما تيسر لنا مما ذكره أئمة التفسير المحدثون والقدماء فى توجيه اللف والنشر فى الآيات الكريمة نجد أن أنظار المفسرين تختلف فى تحديد صورة هذا اللون البديعى الرائق البديع ، فالتفصيل قد يكون على طريقة اللف والنشر المشوش أو المرتب ، وهذا إنما يتوقف على بيان معنى السائل فى قوله ـ تعالى ـ : (وأما السائل فلا تنهر)[٢] ، فإن كان المراد بالسائل سائل المعروف المستجدى يكون هذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المشوش ، فيكون الأول من النشر وهو قوله ـ تعالى ـ (فأما اليتيم فلا تقهر) للأول من اللف ، هو قوله ـ تعالى ـ (ألم يجدك يتيماً فآوى) ويكون الثانى من النشر ، وهو قوله ـ تعالى ـ : (وأما السائل فلا تنهر) للثالث من اللف وهو قوله ـ تعالى ـ (ووجدك عائلاً فأغنى) ، والثالث من النشر وهو قوله ـ تعالى ـ : "وأما بنعمة ربك فحدث" للثانى من اللف ، وهو قوله ـ تعالى ـ : "ووجدك ضالاً فهدى" . يقول الآلوسى ـ رحمه الله ـ بعد أن فسر الآيات وبين ما فيها من در المعانى

---

[١] البحث ص ٢٩٥ وما بعدها .

[٢] الضحى : ٩ ، ١٠ .

وغرر البلاغة : "وهذه الجمل الثلاث مرتبة على ما قبلها ، فقيل : على اللف والنشر المشوش ، وحاصل المعنى : أنك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فآواك وهداك وأغناك ، فمهما يكن من شئ ، فلا تنس نعمة الله ـ تعالى ـ عليك في هذه الثلاث ، واقتد بالله ـ تعالى ـ فتعطف على اليتيم وترحم على السائل فقد ذقت اليتم والفقر ، وقوله ـ تعالى ـ : "وأما بنعمة ربك...) إلخ في مقابلة قوله ـ سبحانه : (ووجدك ضالاً فهدى) لعمومه وشموله لهدايته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الضلال بتعليم الشرائع وغير ذلك من النعم"[1].

وإن كان المراد بالسائل في الآية الشريفة طالب العلم لا المستجد يكون التفصيل على طريقة اللف والنشر المرتب ، فيكون الترتيب في قوله ـ تعالى : (ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك عائلاً فأغنى) يماثل الترتيب في قوله ـ تعالى ـ (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة فحدث) ، وعلى هذا يكون الأول من النشر للأول من اللف والثاني من النشر للثاني من اللف والثالث من النشر للثالث من اللف .

---

[1] روح المعاني للألوسي : ١٦٤/٣٠ ، ١٦٥ ، وينظر حاشية الشهاب : ٣٧٣/٨، وحاشية الجمل ٥٥٤/٤.

قال الطيبي : "الظاهر أن المراد بالسائل طالب العلم لا المستجد ، وعليه لا مانع من كون التفصيل على الترتيب ، فيقال : إنه ـ تعالى ـ ذكر أحواله ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ على وفق الترتيب الخارجي بأن يراد بهدايته ـ عليه الصلاة والسلام ـ ما يعم توفيقه للنظر الصحيح في صباه، فقد كان ـ صلى الله ـ تعالى ـ عليه وسلم ـ موفقاً لذلك ، ولذا لم يعبد ـ عليه الصلاة والسلام ـ صنماً ، أو يراد بإغنائه ما كان بعد البعثة ، ثم فصل ـ سبحانه ـ ذلك على الترتيب ، فجعل عدم قهر اليتيم في مقابلة إيوائه ـ تعالى ـ له ـ عليه الصلاة والسلام ـ في يتمه وعدم زجر السائل طالب العلم المتعلم منه في مقابلة هدايته له ، والتحدث بالنعمة في مقابلة الغنى وإن كانت النعمة شاملة له ولغيره"[1]. وهذا كلام من رسخت قدمه في فهم كلام العرب . ولسماحة الطاهر ابن عاشور في هذه الآيات بحث جيد وتوجيه حسن وهو وإن كان لا يخالف من سبقه من المفسرين في توجيه اللف والنشر في الآيات الكريمة على طريقة اللف والنشر المرتب أو المشوش إلا أنه يصرح وينص على رد كل نشر إلى لغة في الآيات . يقول : "وقد قوبلت النعم الثلاث المتفرع عليها هذا التفصيل

---

[1] المراجع السابقة والصفحات نفسها .

بثلاثة أعمال تقابلها ، فيجوز أن يكون هذا التفصيل على طريقة اللف والنشر المرتب ، وذلك ما درج عليه الطيبي ، ويجرى على تفسير سفيان بن عيينة (السائل) بالسائل عن الدين والهدى[1]، فقوله : (فأما اليتيم فلا تقهر) مقابل لقوله : (ألم يجدك يتيماً فآوى) لا محالة ، أى فكما آواك ربك وحفظك من عوارض النقص المعتاد لليتم ، فكن أنت مكرماً للأيتام رفيقاً بهم ، فجمع ذلك في النهى عن قهره ... وقوله (وأما السائل فلا تنهر) مقابل قوله (ووجدك ضالاً فهدى) ... والتعريف فى (السائل) تعريف الجنس ، فيعم كل سائل أى عما يسأل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ عن مثله ، ويكون النشر على ترتيب اللف ، فإن فسر (السائل) بسائل المعروف كان مقابل قوله : (ووجدك عائلاً فأغنى) وكان من النشر المشوش ، أى المخالف لترتيب اللف ... "فإن جعل قوله : (وأما السائل فلا تنهر) مقابل قوله: (ووجدك عائلاً فأغنى) على طريقة اللف والنشر المشوش كان قوله : (وأما بنعمة ربك فحدث) مقابل قوله : (ووجدك ضالاً فهدى) على طريقة اللف والنشر المشوش أيضًا ، وكان المراد بنعمة ربه : نعمة الهداية إلى الدين الحق"[2].

---

[1] تفسير القرطبي : ١٠١/٢٠ .

[2] التحرير والتنوير لسماحة الطاهر بن عاشور ٤٠١/٣٠: ٤٠٣ بتصرف .

هذا ما ذكره بعض أئمة التفسير فى الآيات ، وهو لا يخرج عن كلام أئمة البلاغة فى مصطلح اللف والنشر ، فالسكاكى ـ رحمه الله ـ يقول : " ... أن تلف بين شيئين فى الذكر ثم تتبعهما كلاماً مشتملاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما إلى ما هو له"[١].

وبدر الدين بن مالك يذيل تعريفه بتقسيم اللف والنشر إلى مرتب أو غير مرتب ، فهو عنده : "أن تلف شيئين فى الذكر أو أكثر ثم يتبعهما متعلقات بهما إما على الترتيب فى اللف ... وإما على العكس..."[٢].

وقد أفاض شراح التلخيص فى بيان أقسامه وشواهده وقالوا: (اللف والنشر ، وهو ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ثم ذكر ما لكل واحد من آحاد هذا المتعدد من غير تعيين ... ثقة بأن السامع يرده إليه ... فالأول : وهو أن يكون ذكر المتعدد على التفصيل : ضربان : لأن النشر إما على ترتيب اللف بأن

---

[١] مفتاح العلوم للسكاكى ، ص ٢٠٠ ط(١) ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٧م .

[٢] المصباح فى المعانى والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم ، تحقيق ، د/ حسنى عبد الجليل يوسف ، ص ٢٤٦، ط١ ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

يكون اللف من المتعدد فى النشر للأول من المتعدد فى اللف ، والثانى للثانى وهكذا إلى الآخر ... وإما على غير ترتيبه : أى ترتيب اللف سواء كان معكوس الترتيب ... أو مختلطاً ... والثانى وهو : أن يكون ذكر المتعدد على الإجمال..."[١].

والنظم الشريف آثر فحدث على فخبِّر فى قوله ـ تعالى ـ: " وأما بنعمة ربك فحدث"[٢] ليكون ذكر النعمة منه ـ عليه الصلاة والسلام ـ حديثاً لا ينساه ويوجده ساعة غب ساعة"[٣].

وتأمل رهافة السياق فى قوله ـ تعالى ـ : (فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث)[٤] ولماذا خالف نسق الفواصل فى آخر آية ؟ والجواب : أن مخالفة نسق الفواصل إنما كان "لأمر تقتضيه حساسية معنوية بالغة الدقة فى اللطف والإيناس ، هى أن حديثه بنعمة ربه ينبغى أن يكون خافتاً فى نبرته وفي الفرط بعد الفرط حتى لا يذهب به هذا الحديث مذاهب الغرور أو الرياء ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وإن كان معصوماً من هذا فإن أمته من ورائه فى

---

[١] ينظر شروح التلخيص على ترتيبها ، ٣٢٩/٤ ، وما بعدها .

[٢] الضحى آية ١١.

[٣] روح المعانى للألوسى : ١٦٤/٣٠.

[٤] الضحى : الآيات ٩ ـ ١١.

كل خطاب إلا ما كان مختصاً به ، وهذا ليس واحداً منها : أقول : إن الحديث بالنعمة جاء مخالفاً لنسق الفواصل في السورة لتشير هذه المخالفة إلى أنه ليس على سجية السياق الدافق والناهى نهياً وجدانياً متصلاً عن قهر اليتيم وقهر السائل، وإنما هو أمر بإذاعة النعمة مشروط بشروط ذكرها علماء الملة[١] ، وأساسها أن يكون مقصده بالحديث عن النعمة اللطف وأن يقتدى به غيره ، وأمن على نفسه الفتنة من الغرور والرياء، أما النهى عن قهر اليتيم وقهر السائل فذانك من المعانى التى تستثار لها النفوس حتى تنفعل بها انفعال طاعة وانقياد"[٢].

وتنتهى هذه السورة ، وسورة الشرح وقد تركت في النفس شعورين ممتزجين : الشعور بعظمة الود الحبيب الجليل الذى ينسم على روح الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ من ربه الودود الرحيم ، والشعور بالعطف على شخصه ــ صلى الله عليه وسلم ــ ونحن نكاد نلمس ما كان يساور قلبه الكريم في هذه الآونة التى اقتضت ذلك الود الجميل"[٣].

---

[١] مفاتيح الغيب : ٣١/٤٨٦.

[٢] خصائص التراكيب ، أ.د/ محمد أبو موسى ، ص ٢٨٩، ٢٩٠.

[٣] فى ظلال القرآن : ٦/٣٩٣٠ ، ٣٩٣١.

وسورة الضحى وسورة الانشراح درتان يتيمتان غاليتان لما فيهما من الحكم والمعارف[١].

هذا ما هدانا إليه المولى ـ عز وجل ـ في هذا العمل منبهين إلى أننا لم نستقص كل الأسرار البلاغية في السورة الكريمة ، ولست في حاجة إلى أن أنبه إلى أن بلاغة القرآن لا تنضب ، وإلى أن الكشف عن أسراره ومعانيه مما لا يحيط به العقل ، فإن القرآن العظيم لا ينضب معينه ، ولا تنقضي عجائبه.

تم بعون الله ـ تعالى ، ونسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل كل ما نأتيه ونقصده وننتخبه لوجهه خالصاً وإلى رضاه ـ عز وجل ـ مؤدياً ، ولثوابه مقتضياً وللزلفى عنده موجباً بمنه وفضله ورحمته.

والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه وهو حسبنا ونعم الوكيل.!!

د. عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حامد
أستاذ البلاغة والنقد المساعد
كلية اللغة العربية بأسيوط
جامعة الأزهر الشريف

---

[١] روح البيان ، ١٠/٤٥٩، ٤٦٠.

ثبت بأهم مراجع البحث

١ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، ط٤ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٣ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبى السعود العمادى ، دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ـ لبنان .

٤ـ أسباب النزول للسيوطى ، تحقيق الأستاذ/ فرنى أبو عميرة ، مكتبة نصير ، بدون .

٥ـ أسباب النزول للواحدى النيسابورى ، مكتبة المتنبى ، بدون .

٦ـ أسرار ترتيب القرآن للسيوطى ، تحقيق / عبد القادر أحمد عطا ، ط٢ ، دار الاعتصام ، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

٧ـ الإسناد أحواله ومقاماته ، دراسة تحليلية ، ا.د/ عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حمد ، ط ١، مطبعة الأمانة ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٨ـ الإشارة إلى الإيجاز فى بعض أنواع المجاز للعز بن عبد السلام ، دار الحديث ، القاهرة ، بدون .

٩ـ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضى البيضاوى ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وشركاه ، ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢م .

١٠ ـ أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم للمرحوم ا.د/ عبد الله محمود شحاته ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م .

١١ـ الإيضاح للخطيب القزوينى ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .

١٢ـ الإيضاح للخطيب القزوينى ، تحقيق ا.د/ محمد عبد المنعم خفاجى ، ط ثانية ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٩٨٤م .

١٣ـ البحر المحيط لأبى حيان ، طبعة ثانية ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

١٤ـ البرهان فى علوم القرآن للزركشى ، تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث بالقاهرة ، بدون .

١٥- البلاغة العالية (علم المعانى) للشيخ/ عبد المتعال الصعيدى ، المطبعة السلفية ، ١٣٥٥هـ .

١٦- التحبير فى علم التفسير للسيوطى ، تحقيق أ.د/ فتحى عبد القادر فريد ، دار المنار ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٧- التحرير والتنوير لسماحة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، ١٩٨٤م .

١٨ - التصوير الفنى فى القرآن للشهيد ، سيد قطب ، ط١٠ ، دار المعارف ، ١٩٨٦م .

١٩- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، مكتبة دار التراث ، بدون .

٢٠- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروزيادى ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م .

٢١- الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله القرطبى ، ط١ ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

٢٢- حاشية الشهاب على البيضاوى ، دار صادر بيروت ، بدون .

٢٣- الحذف البلاغى فى القرآن الكريم ، للمرحوم أ/ مصطفى عبد السلام أبو شادى ، مكتبة القرآن ، ١٩٩٢م .

٢٤- خصائص التراكيب ، دراسة تحليلية لمسائل علم المعانى ، أ.د/ محمد أبو موسى ، ط٢ ، مكتبه وهبه ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٢٥- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ، تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرون ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

٢٦- دراسات وتطبيقات فى علم البديع ، أ.د/ يحيى محمد يحيى ، ط١ ، مطبعة الأمانة ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م .

٢٧- دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر الجرجانى ، تحقيق ، محمود محمد شاكر ، ط٢ ، مطبعة المدنى ، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م .

٢٨- دلالات التراكيب ، دراسة بلاغية ، ا.د/ محمد أبو موسى ، ط١ ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٢٩- روح البيان فى تفسير القرآن للشيخ / إسماعيل حقى البروسوى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون .

٣٠- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى للآلوسى ، ط٤، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣١- سنن الترمذى ، تحقيق الأستاذ/ إبراهيم عطوة ، ط٢ ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .
٣٢- شرح عقود الجمان فى علم المعانى والبيان للسيوطى ، مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.
٣٣- صحيح البخارى بحاشية السندى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، بدون .
٣٤- الصناعتين لأبى هلال العسكرى ، تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
٣٥- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوى اليمنى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .
٣٦- عروس الأفراح فى شرح تلخيص المفتاح للسبكى ، ضمن شروح التلخيص ، طبع دار السرور ، بيروت ، لبنان ، بدون .
٣٧- العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٢م.
٣٨- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية للجمل ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وأولاده .
٣٩- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن قيم الجوزية ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، بدون .
٤٠- فى ظلال القرآن للشهيد/ سيد قطب ، ط ١٠ ، دار الشروق ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م .
٤١- القاموس للفيروز أبادى ، دار الجيل، بيروت بدون .
٤٢- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م .
٤٣- مباحث علم المعانى فى ضوء تفسير روح البيان للشيخ إسماعيل حقى البروسوى ، عرض وتحليل ، ا.د/ عبد الحافظ محمد عبد الحافظ حمد، رسالة دكتوراه مخطوط كلية اللغة العربية ، القاهرة وأسيوط ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
٤٤- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق د/ أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة ، ط٢ ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٣م .
٤٥- مختار الصحاح للرازى ، مكتبة لبنان ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٩م.

٤٦. مختصر المعانى فى علوم البلاغة لسعد الدين التفتازانى ، تحقيق/ محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده ، بدون.

٤٧. المصباح فى المعانى والبيان والبديع لبدر الدين بن مالك المعروف بابن الناظم ، تحقيق د/ حسنى عبد الجليل يوسف ، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجمايز، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .

٤٨. المصباح المنير للرافعى ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، بدون .

٤٩. المطول على التلخيص لسعد الدين التفتازانى ، مطبعة أحمد كامل ، ١٣٣١هـ .

٥٠. المعجم الوجيز ، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٩٢/١٩٩٣م .

٥١. مفاتيح الغيب (المعروف بالتفسير الكبير) للفخر الرازى ، ط١ ، دار الغد العربى ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .

٥٢. مفتاح العلوم للسكاكى ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م .

٥٣. المفردات فى غريب القرآن للراغب ، تحقيق/ محمد سيد كيلانى ، طبعة أخيرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

٥٤. مقدمة تفسير ابن النقيب، طبعة الخانجى .

٥٥. مواهب الفتاح فى شرح تلخيص المفتاح لابن يعقوب المغربى ضمن الشروح ، ط١ ، المطبعة الأميرية ، بولاق ، ١٣١٧هـ .

٥٦. الناسخ والمنسوخ للواحدى بهامش أسباب النزول له ، مكتبة المتنبى ، بدون .